الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة

بعنوان:

دورالأخلاق في الحضارة عند مالك بن نبي

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة

إعداد الطالبة

– يحياوي أمينة

الاستاذ المشرف:

–د. يوسف بوراس

السنة الجامعية: 2023/2022

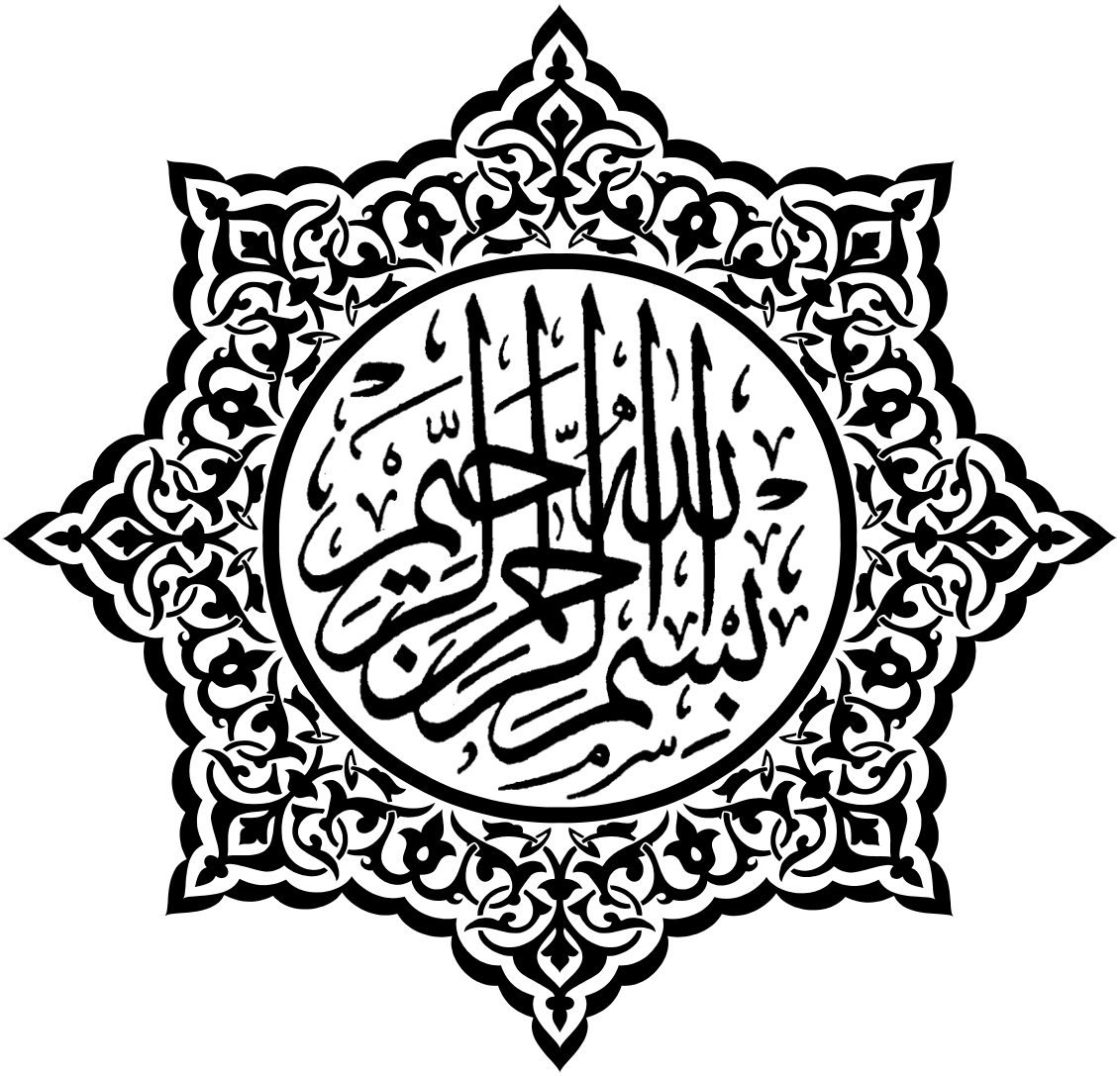
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، و لإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذي المشرف (**يوسف بوراس**) منبع المعرفة و السراج

الذي أنار دربنا فكل الشكر والاحترام له

وإلى كل الأساتذة الذين سبقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم الفلسفة

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

الإهداء

الحمد لله الذي وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا الثبات وأعاننا على إتمام هذا العمل بعدما سقينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات

وهانحن اليوم والحمد نطوي سهر الليالي وتعب الايام

فلحمد لله حمدا كثيرا

اليوم وبكل فخر أهدي ثمرة جهدي المتواضع

الى رمز العطاء والأبوة الى رمز الكفاح في الحياة الى الذي تعب من أجل تربيتي وغرس القيم والأخلاق في قلبي الى من أحمل لقبه بكل فخر وإعتزاز " أبي" أطال الله في عمره.

الى من حملتني وهنا على وهن وسقتني نبع حنانها وعطفها الى من ظلت دعواتها برفقتي ورضاها عني سر نجاحي الى من أنتظرت يوم النجاح هذا " أمي الغالية"

الى من قاسموني العطف والحنان " أمي وأبي الى الشوع التي أضاءت حياتي أخوتي وأخواتي الأعزاء

الى رفيق دربي دافعي وسندي في هذه الحياة" زوجي الغالي فريد"

الى قرة عيني ورح قلبي وفلذة كبدي" أبنائي" نور اليقين " و " محمد أمين" حفظهما الله ورعاهما

الى كل عائلتي" بعيطيش" و " يحياوي"

أمينة

مقدمة

مقدمة:

إن العالم الإسلامي والعربي خصوصا يعاني اليوم من تراجع حضاري و انحلال أخلاقي في ظل التقدم الحضاري الغربي، فهو يسعى إلى الخروج من هذه الحالة والبحث عن النهوض.

حيث برز فكر مالك بن نبي والذي يعد من أهم المفكرين الذين كان لهم الأثر البارز في التأسيس لمشكلات الحضارة، حيث تتبع واقع الأمة ورصد مشكلاتها الحضارية وقدم لها حلولا ، لذا وجب على الدراسات الفكرية الحضارية المعاصرة التوسع في البحث حول مشكلات الحضارة والكشف عن أسباب التخلف والنهوض بما يتيح تفعيلها وتفاعلها مع السياقات الأدائية للمجتمعات المسلمة، من هذا يتأكد الاهتمام بهذا الحقل الدراسي للحضارة والبحث عن مبادئ وعوامل إسلامية راسخة لبناء نهضة حضارية ذات بعد اخلاقي ديني يخدم المجتمعات العربية الاسلامية.

ومما يؤكد العناية به أيضا القيم الأخلاقية التي ظلت نقطة ارتكاز في مسيرة الأمم والشعوب والحضارات، كما اعتبرها الإسلام بمثابة سياج يحمي الحضارة من الانحلال والانهيار، وقرر أن بقاء الأمم وازدهار حضارتها واستدامة منعتها إنما يكفل لها إذا ضمنت حياة الأخلاق فيها فإذا سقطت الأخلاق سقطت الدولة معه، إذ أننا نقف اليوم على صنفين متناقضين من النماذج الحضارية في حين أننا من المنظور الإسلامي تستهدف إيجاد النموذج الذي يزاوج بين القيم المختلفة في المركب الحضاري.

و يعد مالك بن نبي من بين المفكرين المعاصرين في الجزائر خاصة والوطن العربي عامة الذين تناولوا وشغلوا فكرهم واهتمامهم بفكرة الأخلاق الحضارة اللتين كان لهما صدى كبير عند مالك بن نبي وهذا ما نجده في جل كتبه ومؤلفاته التي جاءت بعنوان "مشكلات الحضارة" وقد تناول كل من الاخلاق والحضارة من نواحي وأبواب مختلفة ومتعددة من ناحية نفسية ووظيفية، ودرس النقائص والحلول، وذلك من أجل الخروج بحضارة وتاريخ إنساني خالي من كل الشوائب والرواسب وخالي من أشكال التخلف والجهل.

ونجده قد ربط فكرة الحضارة بالأخلاق باعتبار أن الأخلاق عملية اجتماعية، موضوعها هو الإنسان وبما أن الإنسان هو المحور المركزي الذي تقوم عليه الدراسة، ولذلك جعل مالك بن نبي من الأخلاق كأداة ووسيلة للتغيير الاجتماعي فهي تقوم على تشكيل نظام يساهم في البناء والتجديد الحضاري.

وعليه نطرح الاشكالية التالية:

ما قيمة الأخلاق عند مالك بن نبي، وما علاقتها بالحضارة؟

- التساؤلات الفرعية:

1- ما مفهوم الاخلاق والحضارة عند مالك بن نبي؟

2- ما علاقة الأخلاق بالحضارة في فكر مالك بن نبي؟

3- هل يمكن اعتبار الأخلاق من منتجات الحضارة؟

- منهج الدراسة:

استوجب الموضوع الاعتماد على منهجين متبعين في مجال البحث العلمي، عادة وذلك لتناسبهما مع طبيعة الموضوع، فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي. فالمنهج الوصفي كان اعتماد الباحثة عليه في وصف مختلف الأفكار والمفاهيم التي تناولها مالك بن نبي، وبشكل تحليلي رغبة في تقديم وتوضيح جل الأفكار والمفاهيم الموصوفة وتيسيرها وتسهيلها.

- أهداف الدراسة:

ومن بين الأهداف التي تستلزم البحث عن الأزمة التي يعاني منها العالم الإسلامي بصفة خاصة والعالم بصفة عامة ألا وهي أزمة الأخلاق التي تتدخل في جميع نظم الحياة، وكذا المنهج الفكري والحضاري لمالك بن نبي والبحث عن سبل تفعيله في الواقع بشكل كامل وصحيح يستدعي بيان الأهداف الآتية:

1. الوقوف على موقع القيم الأخلاقية في النهوض الحضاري.
2. الكشف عن عوامل النهوض الحضاري من زاوية أخلاقية.
3. إلقاء الضوء على بعض الجوانب الضرورية لبعث النهضة الحضارية.

4. توضيح رؤية مخالفة من خلال المشروع الأخلاقي وعلاقته بالحضارة عند مالك بن نبي وتبيين الدور الذي قد تساهم فيه الأخلاق في تحقيق النجاح والتقدم الحضاري في المجتمع الجزائري خاصة والمجتمعات العربية الإسلامية عامة.

5. دراسة العلاقة التي قد تربط الاخلاق بالحضارة، رغبة في تحقيق نهضة حضارية جديدة وتحقيق زاد معرفي ذاتي .

6. التعرف على كيف جعل مالك بن نبي من الفكرة الأخلاقية عامل ومحور وركيزة كبيرة في النهوض الحضاري.

7. التعرف على الدور الذي تلعبه الاخلاق في تحقيق الإشراق الحضاري.

- اسباب اختيار الموضوع:

ومن بين أسباب اختياري لهذا الموضوع (الاخلاق في فكر مالك بن نبي)، الدور والأهمية البالغة لكل من الاخلاق والحضارة، والعلاقة العضوية التي قد تجمعهما ودورهما في تحقيق إقلاع حضاري، وباعتبار أن الإنسان هو المادة أو الركيزة التي يقوم عليها المجتمع، ولكي يتحقق ويتم التغيير الاجتماعي، وتتمثل الأهمية القصوى من البحث في هذا الموضوع معرفة كيفية جعل مالك بن نبي الاخلاق كأداة أو وسيلة فعالة للتجديد والنهوض الحضاري وتبيين وتوضيح الأهمية من المشروع الحضاري لدى مالك بن نبي وما علاقته الوطيدة التي قد تجمعه وتربطه بالأخلاق، ومن بين أهم الدوافع والأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع على غيره من المواضيع الأخرى:

أولا: العامل الذاتي:

ويتمثل في ما يلي:

- ميلي الكبير للفكر العربي وخاصة فكر مالك بن نبي، وعند اطلاعي على فكره وجدت أن أدمج جميع جوانب الحياة العملية والعلمية والفنية النفسية، والأخلاقية، الاجتماعية والثقافية .... إلخ، بمعنى يلامس الواقع المعاش كثيرا، وهذا ما زاد إلهامي وإقبالي على اختيار موضوع من فكر مالك بن نبي ومناقشته ودراسته وتحليله.

ثانيا : العامل الموضوعي: ويتمثل في:

– الرغبة في تحليل فكر مالك بن نبي، والتعرف على حياته تفصيلا ، وجعل الأجيال الصاعدة تتعرف وتطلع أكثر على فكر مالك بن نبي، وفهم وتأمل جميع أفكاره الناضجة والاستفادة من آرائه، وأخذ العبرة منه، والاعتماد على أفكاره في بناء تاريخ المجتمع، والاستفادة من الحلول والآراء التي وضعها من أجل التخلص من العراقيل التي تكبح طريق النهوض والتجديد والسمو بالحضارة والتعلم من المفكر مالك بن نبي كيفية التحدي، ومعالم الصبر في الوصول إلى الهدف المنشود مهما كانت الظروف والصعاب وتحقيق الغاية المراد الوصول إليها، حيث أنه لم يعجز مهما واجهته ظروف الزمان ولا المكان في السمو بالحضارة العربية الإسلامية، ونشر الفكر العربي الإسلامي، وتحقيق فكرة النهضة والحداثة الحضارية.

– وبما أن مالك بن نبي من بين المفكرين المعاصرين الذين كرسوا فكرهم لدراسة الواقع المعيشي ودراسة تاريخ المجتمع والحرص من أهم المشكلات والأزمات التي قد تواجه حضارته ونهضته ولهذا نجده قد وضع أفضل الحلول التي يراها كفيلة بتخليص المجتمع وأفراده من هذه المشاكل والأزمات والمعوقات والأمراض التي تجعل المجتمع يتراجع عن النمو والتطور والتقدم، وقد كانت الاخلاق لها علاقة ودور في دراسة وتحقيق النهوض الحضاري وعملية التغيير الاجتماعي وتجديده.

– أهمية الأخلاق ودورها في البناء الحضاري.

– حالة واقع الأمة الإسلامية اليوم وما تعيشه من الانحلال الأخلاقي وتراجع وركود حضاري يستدعي الوقوف على ذلك تلك الوقعة التي تحمل في طياتها الحزن والألم والتفاعل والأمل، لتحقيق نهضة شاملة الحضارة الإسلام في الواقع المعاصر.

– إذا يمكننا أن نقول بأن هذه الإشكالية تعد محورية وأساسية في فكر مالك بن نبي، باعتبار أنه انشغل بمسألة الحضارة وأهم المشكلات التي قد تواجهها في جل مؤلفاته.

- حدود الدراسة:

إطار الدراسة في فكر مالك بن نبي باعتباره أحد المفكرين الذين شغلتهم قضية الاخلاق والتعمق في البحث حول الأخلاق ودورها الرئيسي في الحضارة وذلك من ضمن مؤلفات مالك بن نبي منها ميلاد مجتمع وشروط النهضة.

- الدراسات السابقة:

تتمثل الدراسات السابق في حدود إطلاع الطالبة على هذه الدراسات، ذا لم يتم العثور على نفس الدراسات ولكن دراسات تقريبية لارتباطها بمتغيرات وتشابهها في الجانب النظري نذكر منها:

الدراسة الأولى:

مشروع النهضة عند مالك بن نبي وفتح الله كولن دراسة تحليلية مقارنة ،قام بها الباحث: سفيان حشفية قدمت لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية تخصص دعوة وإعلام واتصال، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي2016/ 2015

كانت الإشكالية تدور حول: ما هي طبيعة المشروع الحضاري الذي قدمه مالك بن نبي وفتح الله كولن؟ وفي ما يتمثل المشروع الحضاري البديل لدى هذين العلمين المجددين؟ وهل مشروعهما كفيل بتحقيق نعوض وتطور في شتى المجلات؟ وفيما يتجلى نقاط الاختلاف والتشابه بين مشروعهما؟

هدفت الدراسة إلى إجراء مقارنة موضحة لمشروع النهضة لدى مالك بن نبي وفتح الله كولن، وذلك من خلال تبيين نقاط الاختلاف والتشابه بينهما، وكذا المقارنة بين المعادلات المطروحة للنهوض الحضاري للأمة الإسلامية.

وقد سلكت الدراسة منهجين: التحليلي والمقارن لمعالجة الموضوع.

نتائج الدراسة:

أهم الأفكار للمستخلصة من الدراسة:

أن الأمة ما لم تحيي إيمانها من جديد وفق مستجدات العصر الحديث فإنه لا أمل في عودتها لمكانها القديم الحضاري.

العودة إلى قطار الحضارة لا يأتي إلا من خلال الانطلاق من الذات "الداخل بكل ما تحتويه من تراث وتاريخ وأرض ومكتسبات متراكمة عبر الزمن.

إعادة ترسيخ القيم الإنسانية في مجتمعاتنا والتي أهملناها وتحولت لغيرنا.

الدراسة الثانية:

مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، قام بها الطالب حسن محمد العقبي دراسة قدمت لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة في الجامعة الإسلامية بغزة. 1426هـ /2005م، اعتمد الباحث في الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

الفصل الأول

الخلفية الفكرية لمالك بن نبي ودورها في تشكيل فكره الأخلاقي

المبحث الأول: مالك بن نبي حياته وأعماله

المبحث الثاني: ضبط المفاهيم

تمهيد:

القيم والأخلاق هي الأساس القوي الذي تُبنى عليه الحضارات، ويحمي البشرية من كل ما يُسيء لها في منظومة حياتها، في مختلف مراحل نموها وتطورها في المجالات كافة. فالحياة من دون هذه الأخلاق، غالباً ما تؤدي إلى أن تعيش البشرية في دوامة من الفراغ الروحي، الذي يوقعها في الفوضى والمشاكل الاجتماعية والسياسية، وغيرها من المشاكل. والأمم التي فقدت أخلاقها، فقدت أيضاً مقومات الاستمرار والبقاء في الحياة، فكم من الأمم الماضية انهارت حضاراتها بسبب طغيانها وفسادها الأخلاقي.

وتعتبر مدرسة مالك بن نبي من أكثر المدارس الفكرية التي كان لها أثر واضح في تحديد دور الأخلاق في الحضارة و المجتمعات، خاصة أن اعماله اهتمت أكثر من غيرها من المدارس الأخرى بدراسة مشكلات الأمة الاخلاقية والحضارية؛ وانطلاقا من رؤية حضارية شاملة ومتكاملة. فقد كانت جهوده لبناء فكر اجتماعي إسلامي أخلاقي حديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموما، سواء من حيث المواضيع التي تناولها أو المناهج التي اعتمدها في ذلك التناول. "وكان بذلك أول باحث حاول أن يحدد أبعاد المشكلة الاخلاقية والحضارية، ويحدد العناصر الأساسية في الإصلاح، ويبعد في البحث عن العوارض، وكان كذلك أول من أودع منهجا محددا في بحث مشكلة المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع وسنن التاريخ". ولم يكن بن نبي مفكرا إصلاحيا بالمعنى المتعارف عليه عند معظم من تناول مؤلفاته، بل كان في جوهره "شخص الفكرة"، كان بالأساس تعبيرا عن رؤية منهجية واضحة، ومفكرا معرفيا، أدرك أزمة الأمة الفكرية، ووضع مبضعه على أُسس الداء.

المبحث الأول: مالك بن نبي حياته وأعماله

أولا: مولده.

هو مالك بن عمر بن خضير بن مصطفى بن نبي[1]، ولقد اشتهر باسم "مالك بن نبي" وكان يلقب بالصديق، وكان والده متعلماً في وقت لم يكن الناس يتعلمون فيه بسبب سياسة التجهيل التي مارستها السلطات الفرنسية آنذاك، وولد مالك بن نبي "في مدينة قسنطينة" في عام 1323هـ الموافق يناير 1905م، وهو الابن الذكر الوحيد في أسرته الفقيرة بالإضافة إلى ثلاث بنات ماتت إحداهن وهو صغير، ولقد عمل أبوه موظفاً بسيطاً في الإدارة الحكومية بمدينة تبسة المجاورة بينما أمه السيدة زهيرة كانت تساعد والده في تحسين دخل البيت عن طريق العمل في الخياطة. وقد استبشر أهله خيرا من مولده في ذلك الوقت،وعن أهمية هذا الوقت يقول في مذكراته عن مولده: "إن من ولد بالجزائر عام 1905م، يكون قد أتى في فترة يتصل فيها وعيه بالماضي ممثلا في أواخر شهوده وبالمستقبل في أوائل صانعيه وعلى هذا كان حين ولدت تلك السنة الحظ الممتاز الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد، على تلك الحقبة من الزمان.[2]

ثانياً – نشأته.

نشأ مالك بن نبي في أسرة متدينة، لها إطلاع على مجريات الأحداث في تلك الفترة متأثرة بالواقع الأليم الذي أصاب الجزائر فقد حدثته جدته عن هجرة أمها مع والدها إلى تونس، يوم دخول المستعمر الفرنسي للجزائر، وذلك خوفاً على الأعراض التي كانت تنتهكها الجيوش الفرنسية الغازية وحدثته كيف هاجر جده لأمه من الجزائر إلى طرابلس الغرب، ضمن تلك المدن الجزائرية الكبيرة مثل قسنطينة، وتلمسان والتي كانت حوالي عام 1908م وذلك للتعبير عن رفض المساكنة مع المستعمر[3].

---

[1] مالك بن نبي ، شاهد القرن ترجمة : القنواتي مروان دار الفكر، ط1، بيروت لبنان، (د.س)، ص38.

[2] المصدر نفسه، ص24.

[3] المصدر نفسه، ص ص8-9 .

كانت قصص جدته هي المدرسة الأولى، التي تعرف منها مالك عن جرائم الاستعمار كما تعلم منها القيم والأخلاق الإسلامية يقول: "تعلمت من جدتي أن الصدقة والعطف على الفقراء من أهم الأخلاق التي اعتنى بها الإسلام، وقد أثرت فيه أحاديث جدته حيث قام بتحويلها إلى سلوك عملي وهو في سن السادسة من عمره، حيث أعطى وجبته في يوم من الأيام لمتسول.[1]

وكان هناك تأثير ديني آخر في لأسرته، وهو صلتها بالحركة الإصلاحية، والصوفية الموجودة آنذاك، ومن ثم أرادت الأسرة منه أن يتربى تربية دينية فأرسلت به إلى الكتاب مع فقر الأسرة. ويروي مالك ما حدث له في يوم من الأيام واضطرت والدته، عندما وجب تسديد ما يستحق شهرياً إلى الكتاب، الذي انتظم في حلقته – أن ترهن في مقابل أجرته سريرها الذي تنام عليه، وكان للعائلة اتصال بالصوفية، حيث أثر في مالك عمه محمود الذي كان من أصحاب الزاوية العيسوية، وكان عمه يأخذه معه أحياناً إلى هذه الزاوية، وبذلك يتضح تكوين ذلك الطفل الديني منذ بداية حياته، وتنشئته تنشئة إسلامية دينيه[2].

يقول مالك عن نشاطه الديني: "كنت أتردد على المسجد، وأقوم بتأدية الصلاة منذ الصغر، وكنت في يوم الجمعة البس زياً خاصاً، وكان الجمهور في الليل يتوزعون على طائفتين: التي تذهب للمقاهي الأهلية حيث يقص القصاص حكايات الف ليلة وليلة، أو ملحمة بني هلال، والتي تبقى في المسجد بعد صلاة العشاء لتستمع لدرس الإمام، وقد كان وعيي يتكون تحت تأثير التيارين"[3].

ودخل المدرسة وبعد تخرجه من الثانوية سافر إلى فرنسا، وهناك تزوج من امرأته الأولى الفرنسية، بعد أن أعلنت إسلامها، وسمت نفسها خديجة، وكان لها الأثر الكبير في حياته فيقول: "أتصور أن الأقدار التي سخرتني كوسيلة تعرفت خديجة بواسطتها على

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع السابق، ص 16.

[2] المصدر نفسه، ص17.

[3] المصدر نفسه، ص32.

الإسلام قد سخرها هي لأتعرف بواسطتها على الوجه الأصيل للحضارة الفرنسية[1]، وبقي يتنقل بين فرنسا والجزائر إلى أن استقر في مصر عام 1956م، ولم يرجع بعدها إلى فرنسا، وافترق عن زوجه خديجه إلا نه ظل وفياً لها، وفي أواخر الخمسينات تزوج ثانية من قريبة له، يقول فوزي الحسن "ومن زواجه من الثانية أنجب عام 1961م توأم بنات سماهما: إيمان و نعمت، ثم بعد ذلك رزقه الله مولودة سماها رحمة وبقي في مصر يحاضر ويناقش ويؤلف إلى عام 1383 هـ / 1963م، بعدها عاد إلى الجزائر، وبقى نشطا في العمل الفكري، إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى.[2]

ثالثا: وفاته.

توفي مالك بن نبي عام 1973م أثناء رحلته إلى مدينة الأغواط في الجزائر حيث كان يلقي بعض المحاضرات هناك اشتد عليه المرض وكان قد أصيب بسرطان البروستاتا فسافر للعلاج إلى فرنسا وأجرى عملية فيها اشتد المرض عليه بعدها فنصحه الطبيب بالعودة إلى بلده وعاد مالك بن نبي إلى الجزائر ليتوفاه الله – يرحمه الله . بعد ذلك بثمانية أيام يوم الأربعاء شوال 1393 هـ الموافق 21 / 10 / 1973 م.[3]

وقد نعاه الأستاذ أنور الجندي بقوله: "لبى نداء ربه العلامة الجليل مالك بن نبي، في أوائل شهر شوال 1993هـ أكتوبر 1973م، عن عمر لم يتجاوز الستين إلا قليلا بعد أن ترك ثروة وافرة من الفكر المتجدد الذي نشره باللغة الفرنسية ثم ترجم إلى اللغة العربية وقد أتيح له في السنوات الأخيرة أن يكتب بلغة الضاد وأن يلقي فيها أبحاثه في مؤتمرات القاهرة ومكة وطرابلس الغرب والجزائر.[4]

---

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المصدر السابق، ص 95.

[2] أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، مطبعة دار النفائس، ط3، د.س، ص18.

[3] المرجع نفسه، ص18.

[4] أنور الجندي، أعلام القرن الرابع الهجري، مكتبة الانجلو مصرية، (د.ط)، (د.س)، ص139.

رابعا: طلبة العلم وثقافته.

لقد كان والد مالك متعلماً، حيث درس في المدارس الحكومية التي كانت موجودة آنذاك وكان على اتصال بالحركة الثقافية، ويمتلك مكتبة خاصة به يقتني فيها كتباً قيمة عربية وفرنسية، وكان والده يطالع صحيفة الإقدام وصحيفة الراية، وكان مالك يطلع علي مكتبة والده مما كان له أكبر الأثر في تكوين شخصيته فيما بعد[1].

بدأ مالك دراسته في : كتاب مدينة تبسة وفيه حفظ أجزاء من القرآن الكريم. كما التحق بالمدرسة الفرنسية الابتدائية الوحيدة في تبسة، كان في الصباح يدرس عدة ساعات في الكتاب بعد ذلك واصل دراسته الثانوية في قسنطينة، وبعد ذلك نجح في امتحان المنح وأعفي من الرسوم، ثم دخل مدرسة سيدي الجليس، التي كانت بمثابة معهد إسلامي، حيث يتخرج منه الطلاب لممارسة الوظائف الحكومية في التدريس والمحاماة والطب من مدرسين، ومحامين ومساعدي أطباء، وكتاب عدل في المحاكم الشرعية.[2]

ولقد كان هدف والديه أن يتعلم ليكون كاتب عدلوفيها تعلم النحو والصرف على يد الشيخ **عبد المجيد**، وكان الشيخ **المولود بن الموهوب** يعلمه علم الكلام وسيرة الرسول "**صلى الله عليه وسلم**"، ودرسه بعض المدرسين الفرنسيين، **فمارتن** علمه فن التعبير والمطالعة، و**بوبيرته** علمه التاريخ والأدب الفرنسي، وبذلك جمع بين ثقافتين مختلفتين وطالع الكتب الأدبية وقرأ للأدباء والشعراء القدامى والمحدثين العرب منهم والفرنسيين، وبذلك تشكلت عقليته الأدبية من خلال تلك المطالعات[3].

وكانت المقاهي تلعب دوراً رئيساً – في ذلك الوقت – في الحياة الثقافية الجزائرية حيث كانت ملتقى للأدباء والمفكرين ففي جوار المدرسة التي كان يدرس فيها مالك بن نبي كانت قهوة تسمى قهوة **أبي عربيط** يقول عنها أنها كانت تقدم لي فرصاً كثيرة في أحاديث عن الأدب العربي.

---

[1] مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن، المصدر السابق، ص 140.

[2] المصدر نفسه، ص 23.

[3] خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط7، بيروت لبنان، 1984م، ص333.

وكانت هناك مقهى خارج المدرسة تسمى مقهى ابن يمينة لعبت دوراً في تكوينه الفكري يقول: "كنت أعي في قهوة ابن يمينه أثار التمزق الفكري والعقائدي، حيث كان فيها مناقشات وأحاديث حادة ومثيرة كان يغذيها التيار المدرسي – ذو الثقافة الفرنسية التي تعطى في المدارس الحكومية – والتيار الباديسي[1].

وكان مالك على اتصال بالصحف الإسلامية وغيرها التي كانت تنشرها الأحزاب السياسية آنذاك ومنها : "الإنسانية"، و"النضال الاجتماعي"، و"العصر الجديد" و"الجمهوري" و"الإقدام"، و"أم القرى" و"صدى الصحراء"، و"الشهاب "، و"الشؤون العامة "، و"الأمة".[2]

وكان مالك كثير المطالعة، يستعير الكتب من المكتبات الموجودة في مدينته، ومنها: مكتبة تسمى مكتبة النجاح، ومكتبة المدرسة، ومما قرأ وكان له تأثير في تكوينه الثقافي كتاب "الفشل الأخلاقي السياسة الغربية في الشرق " لمحمد رشيد رضا" "ورسالة التوحيد". "لمحمد عبده" "وأم القرى" لعبد الرحمن الكواكبي" وكتاب "الإسلام بين الحوت والدب" "لأوجين يوغ"، و"في ظلال الإسلام الدافئة" "لإيزابيل ابرهارت" و"مقدمة ابن خلدون"، و"كيف تفكر" ل"جون ديوي" ولغيرهم من الكتاب والأدباء والمفكرين والفلاسفة.

وبعد إنهاء دراسته الثانوية توجه مالك بن نبي إلى فرنسا أكثر من مرة بغرض الدراسة فيها وفي عام 1930م سافر مرة أخرى كي يدرس الحقوق في معهد الدراسات الشرقية ولكنه لم يوفق في دخول هذا المعهد وهناك تعرف على جمعية اسمها – الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين" فانتسب اليها وكان هو المسلم الوحيد فيها حيث تعرف على الوجه الثقافي وبعدها تعرف على الوجه التكنولوجي للحضارة الغربية من خلال متحف الفنون والصناعات حيث درس الكيمياء التطبيقية فيه.[3]

وفي تلك الفترة سجل اسمه في مدرسة الكهرباء والميكانيك، قسم اللاسلكي للحصول على درجة مساعد مهندس، وواكب وجوده في فرنسا تأسيس مجموعة من طلبة شمال أفريقيا

[1] مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن، المصدر السابق، ص150.

[2] المصدر نفسه، ص161.

[3] المصدر نفسه، ص27.

جمعية تسمى وحدة "طلبة الشمال الإفريقي المسلمين" وكان هو حلقة الوصل بين المجموعتين ولما أنشأت وحدة المسلمين مجلة شهرية كتب مقدمتها مالك، ووزعت منها نسخ كثيرة في (فرنسا والجزائر) ثم بدأ يظهر من خلال الوحدة المغربية[1].

وحينئذ بدأ مالك بن نبي بإلقاء المحاضرات، وأول محاضرة ألقاها مالك في فرنسا كانت في شهر ديسمبر عام 1930م بعنوان "لماذا نحن مسلمون"، وقد أدخل فيها مفاهيم فلسفية، متأثرا من دراسته في الكتب الفلسفية، حيث أثارت عبارته "الروح تصنع المادة" في المحاضرة، انتباه الجالسين بحيث أظهرت اتجاهه المثالي في الفلسفة المعارض للاتجاه المادي، ولقد أرسل إليه المستشرق "ماسنيون" لكي يراه فلم يذهب لملاقاته، ومن يومها أطلق على مالك "زعيم الوحدة المغربية".

وبدأ مشواره السياسي، وأخذ الاستعمار الفرنسي يحاربه في عائلته، حيث بدأوا يضايقون أباه في العمل، ومن ثم تم طرده من العمل، وقام بالتحضير المحاضرة ألقاها "المهاتما غاندي" في باريس، وكان له دور في إنشاء بعض الأحزاب، مثل حزب نجم شمال إفريقيا – وقام بتوزيع منشورات "جمعية العلماء الجزائريين" في فرنسا، وكتب مقالاً بعنوان "مثقفون أم مثيقفون" رداً على مقال لأحد دعاة الاندماجيين الجزائريين اسمه "أنا فرنسا" وفي فرنسا أخذ يتوجه إلى دراسة الفلسفة وعلم الاجتماع، والهندسة، وفي أحد المعاهد الباريسية عام 1935م تخرج مهندسا كهربائياً[2].

وتوجه مالك إلى القاهرة في عام 1956م، وفيها بدأ نجمه يظهر، وبدأ علماء الأزهر والمفكرون يتصلون به وقد تأثر بعضهم بفكره، وبدأ يعيد صلته باللغة العربية، ويلقي المحاضرات والندوات الفكرية، ولقد أخذ مع بعض أصدقائه للتحضير لفكرة الثورة وكان يتحدث معهم في سير الثورة الجزائرية[3].

---

[1] مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن، المصدر السابق، ص ص43-44.

[2] المصدر نفسه، ص ص57 -58.

[3] المصدر نفسه، ص ص 113.

وبعد نجاح الثورة لم يذهب إلى الجزائر في عهد الحكومة المؤقتة، حيث انتقدها بقوله: "عهد الحكومة المؤقتة الجزائرية التي كانت تفرض على كل جزائري قانون الصمت"[1] وفي عهد بن بلة رجع إلى الجزائر، وبذلك بر بكلمته عند خروجه آخر مرة من الجزائر حيث قال آنذاك : يا أرضاً عقوق :" تطعمين الأجنبي .. وتتركين أبناءك للجوع .. إنني لن أعود اليك .. إن لم تصبحي حرة" فعاد إليها فعلاً بعد أن أصبحت حرة بعام واحد فقط وذلك عام 1963م.

خامسا: مؤلفاته:

ألف أغلب كتبه باللغة الفرنسية، وبعضها باللغة العربية، ثم ترجمت الكتب التي كتبها بالفرنسية إلى العربية، وله ما يزيد عن عشرين كتاباً مطبوعاً، وقد طبع كثيراً منها في القاهرة ودمشق والجزائر، وله أحد عشر مؤلفاً ما زال مخطوطاً لم يطبع بعد، حيث سنقوم بتصنيف كتبه بحسب الموضوعات:

- **الظاهرة القرآنية:** وقد كتبه باللغة الفرنسية، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين ونشرته دار القرآن الكريم، تحت رعاية الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية السالمية، الكويت، عام 1398هـ . 1978م، وهو من القطع الصغير، وعدد صفحاته 236 صفحة. وفيه يدرس مالك مفهوم النبوة وأصول الإسلام، والرسول، وظاهرة الوحي وقضايا تتعلق بالقرآن[2].

- **شروط النهضة:** نشر بدار الفكر، ط عام 1962م وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 159صفحة. يبين فيه مالك، أهم شروط تركيب الحضارة، ويركز فيه على الدور الذي تلعبه الفكرة الدينية، كمركب من عناصر التاريخ، وكحقيقة يؤيدها تاريخ الحضارات[3].

---

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المصدر السابق، ص 90.

[2] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، دار القرآن الكريم للنشر السالمية، الكويت، 1398هـ-1978م.

[3] مالك بن نبي، شروط النهضة: ترجمة عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، عام1960م.

– **ميلاد مجتمع:** وقد قام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين، نشر دار الفكر، عام 1962م، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 107 صفحة. وهذه الدراسة تشمل منهجية المفاهيم النظرية التي ترجع إليها العناصر التاريخية الخاصة لميلاد مجتمع . ويرى مالك أننا نريد أن نعطي للقارئ المسلم فرصة التأمل في هذه المرحلة من تاريخ المجتمع، حين يولد، أو حين ينهض وذلك عن طريق تمسكه بالمبادئ التي شيدت البناء الحضاري الإسلامي[1].

– **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي:** وقام بترجمته محمد عبد العظيم في دار الدعوة، عام 1970م، وهو من القطع المتوسط وعدد صفحاته 71 صفحة وطبعة أخرى، ترجمة د. بسام بركة، ود.أحمد شعبو، ط دار الفكر الطبعة الأولى، عام 1988م عدد صفحاته182 صفحة. ويرى مالك أنه لا يقدم في هذا الكتاب لمشكلة الفكر في العالم الإسلامي، بل على العكس، في هذا الكتاب يحاول إلقاء الضوء على معالمها وتركيبها الخاص.

– **مشكلة الثقافة:** ترجمة عبد الصبور شاهين ط1، عام 1984م، وعدد صفحاته 152 صفحة.

يتحدث فيه عن مفهوم الثقافة، وعلاقتها بعلم الاجتماع وتوجيه الثقافة[2].

– **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث:** نشرته مكتبة عمّار القاهرة ط عام 1970م، وهو من القطع الصغير وعدد صفحاته 62 صفحة.

ويرى مالك أن علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الفكر، حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي.[3]

–**آفاق جزائرية:** وقد نشرته مكتبة عمّار ط2 عام 1971م القاهرة.

وهو مكُّون من ثلاث محاضرات، يجمع بينها أنها ألقيت جميعها في الجزائر، وهذه المحاضرات هي: مشكلة الحضارة، ومشكلة الثقافة، مشكلة المفهومية.[4]

---

[1] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع : ترجمة عبدالصبور شاهين دار الفكر، دمشق عام 1974 م .

[2] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين ط1، عام 1984م.

[3] مالك بن نبي ، انتاج المستشرقين، دار الارشاد للطباعة والنشر، بيروت، 1971م.

[4] مالك بن نبي، آفاق جزائرية، مالك بن نبي، آفاق جزائرية، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، د. ط، 1991.

-**المسلم في عالم الاقتصاد:** وقد نشرته دار الفكر 1972 م، وعدد صفحاته 111 من القطع المتوسط.

يرى مالك أن المختصين بالاقتصاد يوجهون العتاب أو اللوم إلى الفقهاء، ويرمونهم أحياناً بالجمود، ويجب أن ننزه فقهاءنا عن هذا العقاب، ونقول: إنه ليس من اختصاصهم أن يدلّوا على الحلول الاقتصادية سواء مستنبطة من القرآن والسنة، أو غير ذلك، وإنما اختصاصهم أن يقولوا في شأن الحلول التي يراها أهل الاختصاص هل هي تطابق أو لا تطابق الشريعة الإسلامية. [1]

- **بين الرشاد والتيه:** نشر لدار الفكر عام 1978م، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 174.

وهو كتاب ضم مقالات كتبها الأستاذ مالك، ونشر معظمها في جريدة الثورة الأفريقية إثر عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال في الستينات، وقد جمعها مالك في صيف 1972م وترجمها إلى العربية، وهذه المقالات تعكس أحداث الستينات في العالم العربي والإسلامي وهي تطرح مشاكل العالم الثالث بعد الاستقلال فسلّط عليها أضواء كاشفة تبرز أبعادها وتنير طريق الكفاح من أجل القضاء عليها.[2]

-**وجهة العالم الإسلامي:** وقام بترجمته عبد الصبور شاهين، نشر دار الفكر عام 1954م، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 173.

يؤكد الأستاذ محمد المبارك في مقدمته للكتاب، أن مالكا يبحث المشكلات المشتركة للعالم الإسلامي بمجموعه، فيستعرض تاريخها منذ ظهور الإسلام والمراحل التي مرت بها ثم يقف بنا طويلاً في المرحلة الحاضرة من مراحل الإنسانية، ليدلنا على هذه الرقعة من العالم التي تمتد من مراكش إلى أندونيسيا، ويؤكد مالك في صدر الكتاب أن صناعة تاريخ العالم

[1] مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد: ط دار الفكر، دمشق، ط عام 1979م.

[2] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1978.

الإسلامي لم تعد من مهمة المؤتمرات الخارجية، التي قعدت به إلى حين عن التطور والازدهار، وإنما من العمل الصامت المضني المنبعث من حركته الداخلية.[1]

- **تأملات:** وقد نشرته دار الفكر في دمشق عام 1961م، وهو من القطع المتوسط وعدد صفحاته 215.

وهذا الكتاب صدر منه القسم الأول عام 1960م، تحت عنوان "حديث في البناء الجديد " وقسمه الآخر صدر عام 1961 م تحت عنوان "تأملات في المجتمع العربي، ثم تم طبعه بحيث ضم الكتابين معا، لأن مالك أراد أن يعطي لتأملاته شمولا يتلاءم مع نطاقها، فهو إذا تحدث عن المجتمع العربي يعالج الظواهر المرضية التي انتظمت العالم المتخلف من أقصاه إلى أقصاه، وإذا تحدث عن بناء جديد، فإنما يبرز الحاجة إلى حضارة تنقل البلاد المتخلف إلى مستوى المشاركة في مسيرة العالم، لذا سمي بتأملات، يدخل في نطاقها المجتمع العربي والإسلامي، كما يدخل العالم الإسلامي والعالم المتخلف في عمومة.[2]

- **فكرة كمنويلث إسلامي**[3]: وقد نشرته مكتبة عمّار ط1 عام 1960م، ونشرته دار الفكر ط2 عام 1990م، من القطع المتوسط وعدد صفحاته 94.

يرى مالك في هذا الكتاب، أن الكمنويلث الإسلامي ضرورة تاريخية، تدعو الشعوب الإسلامية إلى العودة إلى حلبة التاريخ، ولكن في صورة حضارة لا في صورة إمبراطورية ولا يكون مجرد تنظيم سياسي اقتصادي، نظراً لصورة جديدة لتوازن القوى في العالم، بل يجب أن يكون مع ذلك نظماً أخلاقياً وإشعاعاً روحياً لمواجهة الأزمة الاجتماعية، داخل العالم الإسلامي.

- **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين:** نشر دار الفكر في كتاب واحد في بيروت عام 1977م، وهو من القطع الصغير وعدد صفحاته 62.

---

[1] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين ، نشر دار الفكر ط عام 1954م.

[2] مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

[3] مالك بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي، تر: الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

ويتضمن هذا الكتاب محاضرتين ألقاهما مالك، إحداهما بمدينة دمشق برابطة الحقوقيين في مايو عام 1972 م بعنوان دور المسلم، والثانية بعنوان رسالة المسلم.[1]

- **في مهب المعركة:** وهو مجموعة مقالات كتبها الأستاذ: "مالك " في باريس في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، وحينما لجأ إلى القاهرة عام 1956 م بدا له أن يترجم هذه المقالات وينشرها بالعربية، فكانت الطبعة الأولى عام 1961 م، وقد سمّى مجموعة المقالات هذه:" في مهب المعركة" باعتبارها إرهاصاً للثورة الجزائرية وتسويغاً لدوافعها ويرى "مالك"، أن هذه المقالات تتضمن هذه العناصر التي تكون مادة الصراع الفكري وواقعة اليومي، الواقع الذي يريد الاستعمار أن يسدل عليه ستاراً من الظلام، حتى يبقى الرأي العام في قيود لا تراها إلا عين بصيرة.[2]

- **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة:** نشر دار الفكر عام 1960م، وعدد صفحاته، 127 وهو أول كتاب لمالك بالعربية مباشرة، يتناول فيه بعض المواقف الشخصية للكتاب في البلاد المستعمرة، كما يتحدث فيه عن أوضاع تلك البلاد وعلاقتها بالاستعمار وأساليبه في السيطرة والغزو.[3]

- **الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج:** ويعتبر مالك أن مؤتمر باندونج كان قطعاً في نظر المختصين بالسياسة العالمية، من أهم الظواهر السياسية التي برزت في العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية، وقد نشرته دار الفكر ط 1957م، وعدد صفحاته 266، من القطع المتوسط.[4]

- **مذكرات شاهد القرن:** ويتكون من جزأين: الجزء الأول بعنوان" الطفل" وقد ترجمة مروان القنواتي، والجزء الثاني بعنوان" الطالب" وقد ترجمه مالك بنفسه، نشرة دار الفكر بيروت،

[1] مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، دار الفكر، ط2 ، بيروت، 1977م .

[2] مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر المطبعة العلمية، دمشق، 1981.

[3] مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر للنشر، 1960م.

[4] مالك بن نبي، الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دارالفكر،1981م.

الجزء الأول ط عام 1969م، من القطع المتوسط، والجزء الثاني بعنوان " الطالب" ط عام 1970م[1]، وله قصة أدبية بعنوان" لبيك".

وتوجد كتب غير منشورة للأستاذ مالك بن نبي، و مخطوطات بخط يده ومنها:

1-خطاب مفتوح لخروتشوف و برنياور.

2-دولة مجتمع الإسلامي.

3-مذكرات شاهد القرن.

4- نموذج لمنهج ثوري.

5-اليهودية أم النصرانية.

6-دراسة حول النصرانية.

7- مجالس تفكير.

8- دولة مجتمع اسلامي.

9- العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها.

10- تأملات.

11- التاريخ الحرج للثورة الجزائرية.

سادسا- تكوينه الفكري وثقافته الإسلامية :

ولد مالك بن نبي في عصر سمع فيه قصص الاحتلال الفرنسي المرعبة، وعاش مأساة بلده، حيث الاستعمار يخطط لشلّ فاعليته، وتحويله إلى فريسة يسهل التهامها، فقد مارس الاستعمار كلّما من شأنه أن يطمس هوية هذا المجتمع، وهذا الوطن، وقد عاشها ابن نبي ككلّ الجزائريين، يقول الأستاذ محمد المبارك في تقديمه لكتاب وجهة العالم الإسلامي: "إن المؤلف نفسه عانى هذه التجربة فكريا ونفسيا لأشدّ ما يعانيها إنسان مثقف مرهف الشعور والحس" [2]. لقد عاش مالك هذه المأساة يوما بيوم في المدرسة الفرنسية، وفي تبسة وفي قسنطينة، ورأى كيف بدأ المجتمع يتحوّل عن فطرته، وكيف صارت السّيادة للصعاليك،

[1]مالك بن نبي ، شاهد القرن ترجمة : القنواتي مروان، دار الفكر، ط1، بيروت لبنان، (د.س).

[2]مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص09.

بمساعدة الإدارة الفرنسية، وكيف بدأت ملكية الأراضي تنتقل من أبناء البلد إلى المستعمر بواسطة اليهود، كما عاش في فرنسا مأساة الجالية الجزائرية، أو كما يسمونهم أبناء المستعمرات، من الأمية، والجهل، وشظف العيش، والنّظرة الدونية من المجتمع الأوروبي إليهم. هذه التجربة المرّة، وهذه الشّهادة على الحالة الاستعمارية أعطت مالكا القدرة الفائقة على تحليل نفسية المستعمِر والمستعمَر، واكتشاف أساليب الاستعمار الماكرة الخبيثة نراه يستغل جهل الجماهير لينشئ حول الفكرة منطقة فراغ وصمت لعزلها عن المجتمع"[1].

كلّ ذلك ولد عند مالك فكرة عن الاستعمار، كما أنّ مالكا كان من بين أبناء الجزائريين الذين رافقهم الحظّ في دخول المدرسة حيث بفضل قراءته المتعددة الّتي كانت إلى جانب تجاربه الحياتية موجها أساسيا لأفكاره، فقد قرأ كتبا في علم النّفس، والاجتماع، والأدب، وكلّ ما وصلت إليه يداه من صحف، ومجلات عربية، وفرنسية كانت تصدر أيّام دراسته. "لقد قرأ مالك لأدباء فرنسا مثل: لامارتين وللأمريكي جون ديوي كتابه(كيف تفكر) واطلع على كتابات المستشرقين ككتاب (الإسلام بين الحوت والدب) لأوجين يونغ وكتاب (تحت ظلال الإسلام الدّافئة) لإيزابيل هارت"[2].

رغم تعمقه في الفكر الغربي، إلا أن ذلك لم يكن ليأسره في تلك الحضارة الغربية، وهنا نجد أن الثقافة الإسلامية هي التّي صنعت التميز في عموم فكره، فمالك بن نبي نفسه يعترف في مذكراته أنّ ما كان يردّه عن الغلوّ في الاتجاه الفكري الغربي إنّما هي دروس الفقه والتوحيد، ودروس العربية في قسنطينة، ومن قراءاته لمجلة الشهاب التّي كان يصدرها ابن باديس، ورغم الصعوبات والعراقيل التّي كانت تفرضها سلطات الاستعمار على المطبوعات العربية استطاع مالك بن نبي أن يطّلع على كتاب (الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق) لأحمد رضا، و(رسالة التوحيد) لمحمد عبده و(طبائع الاستبداد) للكواكبي ومقدمة ابن خلدون، وبالرغم من أنّ مالك بن نبي لم يكن من حفظة القرآن الكريم والحديث

[1] مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط10، 2011، ص 16.

[2] محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 2006، ص52.

الشريف إلّا أنّه كان على دراية واسعة بالتاريخ الإسلامي، وذا قدرة فائقة على فهم الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة خاصّة ما تعلّق منها بالتغيير.

سابعا: مؤهلاته العلمية:

إنّ دراسة مالك بن نبي للعلوم التطبيقية كان لها الأثر في أن تجعل منه يخضع كلّ شيء لمقياس دقيق في الكم والكيف مع تحديده للألفاظ والمصطلحات، حيث لا يبدو كلامه إنشائيا لملء الصفحات وتكثير سوادها، بل مختصرا دالا، ومن ذلك استعماله الصيغ الرياضية في توضيحه بعض القضايا الفكرية كمسألة العوالم الثلاثة المنتجة للحضارة التّي يعبر عنها بقوله: "وبعبارة أخرى كل من العوالم الاجتماعية الثلاثة يتفق مع الصيغة التحليلية التالية: ناتج الحضارة = إنسان+ تراب+ وقت"[1]، وتجده يحلل الموضوع إلى عناصره الأولية ثمّ يعيد تركيبه من جديد في خطوة تنبئ أن الجانب التقني الذي يحوزه وفي ذلك يقول عبد العزيز الخالدي: "وتكوين المؤلف كمهندس ساعده دون شك في التصوّر الفني للأشياء"[2]. بالإضافة إلى رحلاته فالرجل قضى حياته مرتحلا متنقلا بين بلدان مختلفة، وبيئات متباينة، ممّا أثّر في دقة ملاحظاته، وسعة معلوماته وآفاقه، فقد عاش في الجزائر وفرنسا ومصر وزار بعض البلاد العربية والتقى بأدباء ومفكرين كبار.

ثامنا: الجانب الاجتماعي :

لم يعش مالك بمعزل عن المجتمع، بل عاش مآسي مجتمعه ووطنه، ورأى كيف كان الاستعمار يعمل جاهدا لطمس هوية هذا الوطن، وفي خضم ذلك كان يعيش مآسي المجتمع العربي والإسلامي بكل جوانحه، فكان لذلك الأثر البليغ في تكوينه الفكري، لأنّ حالة المجتمع فرضت عليه التفكير في حلول لهذه المشاكل ومنها:

أ_ ظاهرة الاستعمار: لقد عانت الشعوب الإسلامية من ظاهرة الاستعمار وما حملته عليها من ويلات، والتدهور مسّ جميع مناحي حياتها، فقد أتى على كلّ المقومات المادية والمعنوية؛ ولعلّ الجزائر هي أكثر البلدان الإسلامية التّي عانت من همجية الاستعمار لما

[1] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص29.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص10.

أصابها منه من نهب لخيراتها المادية، بل حاول بكل الوسائل طمس هويتها، فلم يمض على احتلال الجزائر سوى شهران حتى أصدر المحتل أمرا في 08 سبتمبر 1830 يقضي بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التّي تموّل الخدمات الدينية، والثقافية والتعليمية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين، «فكان من الطّبيعي أن يلقى هذا الاستعمار الكره والمقاومة من طرف كل مسلم حرّ، ومالك بن نبي باعتباره فردا من هذا المجتمع الإسلامي كان ينظر إلى الاستعمار نظرتين، نظرة يتقاسمها مع جميع أفراد المجتمع وهي نظرة الضحية إلى الجاني وما تحمله من كره وبغض، أمّا نظرته الثانية فهي نظرة المثقف المسلم الذي يحلّل الظاهرة ويبحث في أسبابها وتداعياتها وما يترتّب عنها، فمالك بن نبي يرى أنّ الاستعمار لا يمارس استنزاف الخيرات المادية للمجتمع فحسب، بل يتعداه إلى ما هو أخطر في كيان المجتمع المسلم، إنّه يمارس معركة صراع فكري في هذه المستعمرات»[1]

إنّه سوف يواصل في الوقت نفسه حربه ضد الفكرة المجرّدة بوسائل ملائمة أكثر مرونة، ويستعين من أجل ذلك بخريطة نفسية للعالم الإسلامي، وهي خريطة تجري عليها التعديلات الضرورية في كلّ يوم. يقوم بها رجال متخصّصون مكلَّفون برصد الأفكار، «إنّه يرسم خططه الحربية ويعطي توجيهاته العلمية على ضوء معرفة دقيقة لنفسية البلاد المستعمرة معرفة تسوّغ له تحديد العمل المناسب لمواجهة الوعي في تلك البلاد حسب مختلف مستويات الطبقة المثقفة، فيقدم للمثقفين شعارات سياسية تسد منافذ إدراكهم إزاء الفكرة المجرد"[2]

فالبلاد الإسلامية المستعمرة يمارس فيها الاستعمار جريمة بشعة هي قتل الوعي لدى هذه الشعوب، فغريزة حب السّيطرة هي قبل كل شيء سيطرة فكرية، فإذا تحقّقت الهزيمة الفكرية فالهزائم الأخرى تتوالى بشكل حتمي، فالاستعمار كما يعنيه مالك بن نبي هو استعمار مشترك هدفه إخضاع الملايين من البشر لسطوته وسلطانه وتسخيرهم لخدمته "وهنا

[1] مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الفكر، دمشق ، 1989 م،ص16.
[2] المصدر نفسه،ص16.

نجد سمة الاستعمار المشترك، أعني الاستعمار الّذي يمر من المرحلة المحلية إلى الدّولية بالتّجاهل نفسه وعدم الاكتراث بمطامح وآلام ملايين المستعمَرين»[1].

«فالاستعمار بالإضافة إلى سيطرته على كل ما هو مادّي في البلاد المستعمرة، يسيطر أيضا على حياة الشّعوب وأفكارهم، ويوجهها حيث أراد، فهو يتدخّل في أتفه تفاصيل الحياة اليومية "هكذا يحدق الاستعمار بحياة المستعمرين من كلّ جانب ويوجهها توجيها ماكرا لا يغفل أتفه الظروف وأدق التفاصيل»[2]، ولذلك يُعتبَر عنصرا جوهريا في فوضى العالم الإسلامي الّذي لا يمكنه أن ينهض من سباته ويبلور فكرة التحرّر؛ حيث أنّ الاستعمار ذاته مثلما هو سبب خنوع هذا المجتمع المسلم واستسلامه، فهو أيضا مدعاة التوحد والنهوض إذا تبلورت فكرة التخلّص من الاستعمار لدى الشّعوب الإسلامية.

المبحث الثاني: ضبط المفاهيم:

حيث سنتعرض لمفهومي الأخلاق والحضارة فنقوم بإيضاحهما وشرحهما لغة واصطلاحا، وهو ما يفرضه طبيعة الموضوع.

أولا: مفهوم الأخلاق:

وسننظر إليه أولا لغة ثم اصطلاحا وذلك من خلال مختلف التعريفات التي قدمت له.

لغة:

إن الناظر في كتب ومعاجم وقواميس اللغة يجد بأن الأخلاق «جمع خلق، وتطلق ويراد بها: بضمتين: السجية[3] والطبع والمروءة والدين[4]، والعادة اللازمة»[5]

---

[1] مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط7، 2009، ص 64.

[2] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص 109.

[3] الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج02 (ا.ط، دار الفكر،لا.م)، 9311 هـ-1979م، ص214.

[4] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تراث في مؤسسة الرسالة دار النشر مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م، ص881.

[5] مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن،ج 1، ط2، جمهورية مصر العربية،1409هـ-1988م، ص375.

التعريف الاصطلاحي:

إن لمفهوم الأخلاق تعريفات كثيرة، لا يتسع المجال لذكرها ولكن نحاول ذكر أهمها حيث يعرف أرسطو الأخلاق بقول: «الفضيلة حال معتادة موجودة في التوسط الذي هو عندنا متوسط محدود بالقول كما يحدها العاقل. و هي متوسط فيما بين خسيستين، أحدهما بالزيادة، والآخر بالنقصان، ولذلك كانت الفضيلة من حيث الجوهر والحد الذي يعبر عن الماهية توسطا، ولكنها من حيث الفعل والكمال غاية»[1]. أما في العصور الوسطى فيعرفها القديس توما الاكويني بقوله «إن الأخلاقيات هي وظائف رئيسة تساعد في إعداد وتجهيز الطبيعة البشرية لتبلغ الكمال فالأخلاقيات بهذا المعنى مقدمة للغبطة والسعادة ومصدر هذه السعادة هو الوصول للحقيقة التي تعرف بالمصطلح Gaudium De Veritae والوسيلة لتحقيق هذا الهدف المثالي والغاية القصوىFinis Ultimus هي الحياة. الأخلاقية التي تقود لهذه الغاية مباشرة"[2].

أما في الفكر الإسلامي فنجد عدة تعريفات للأخلاق على اعتبار أن الفلاسفة المسلمين عنوا بدراسة الأخلاق وسنقتصر على تعريف ابن مسكويه وأبو حامد الغزالي. يعرف ابن مسكويه الأخلاق فيقول: «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه... ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا»[3].

---

[1] الطويل (توفيق)، فلسفة أرسطو للأخلاق : نشأتها و تطورها ، ط 4 ، د،ب،ن : دار النهضة، 1979، ص97.

[2] ماهر عبد القادر محمد، حربي عباس، دراسات في فلستة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، ط1 الإسكندرية، مصر، 2000، ص450.

[3] ابن مسكويه ، تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم، مكتبة الحياة للطباعة و النشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1982، ص51.

ويعرفها أبو حامد الغزالي بأنها «هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير حاجة إلى فكر و روية»[1].

وأما في الفلسفة الحديث فنجد كانط ينظر للأخلاق على أنها أخلاق الواجب «الأخلاق عنده ليست هي ما يعلمنا كيف نجعل أنفسنا سعداء ولكن هي ما يجعلنا جديرين بالسعادة»[2] إن الأخلاق عبارة عن صفات راسخة في النفس، تصدر عنها أفعال بيسر وسهولة دون تكلف، وقد تكون مذمومة أو محمودة وهذه الأخيرة هي التي نقصدها في الدراسة، وتعد الأخلاق فن توجيه السلوك البشري مع مراعاة القيم المعرضة للخطر. كما تعرف ايضا بأنها نتاج التفكير في القيم لانتقادها وتجديدها وذلك في حدود التغيرات التي تحدثها الحياة اليومية.

والأخلاق هي نهج يهدف إلى اعتماد أفضل حل لمشكلة معينة بناءً على القيم المكتسبة والمقبولة والمتكاملة مع مراعاة السياق الذي تطرح فيه المشكلة حاليًا.

ثانيا: مفهوم الأخلاق عند مالك بن نبي:

ينظر مالك بن نبي إلى مفهوم الأخلاق من منظور وظيفي أي من حيث المهمة التي يمكن أن نضطلع بها اجتماعيا، ولذلك فهو يهتم بها بوصفها الرابط المقدس والفاعل بين الأفراد بحيث يتآلف الأشخاص بينهم لإنتاج الحالة الاجتماعية، وقوة هذا الارتباط أو التآلف هو ما يسمح بنشأة الأشكال الاجتماعية المعروفة من قبيلة وعشيرة ومدينة وأمة[3].

وتأخذ الأخلاق أهمية كبيرة في فكر مالك بن نبي، إذ يتأسس عليها عالمي الحضارة والثقافة وهو ما نكتشفه في تعريفه للحضارة باعتبارها "مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية لنموه"[4]، حيث تظهر أهمية الأخلاق باعتبارها

---

[1] زيدان عبد الكريم أصول الدعوة، دار الوفاء للطباعة ط 3،مصر،1987، ص79.

[2] زكي نجيب محمود قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ج 2، مصر، 1967،ص300.

[3] بغداد باي نعيمة، مفهوم السياسة والأخلاقيات السياسية عند المفكر مالك بن نبي، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة الجزائر، 2005، ص102.

[4] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، تر: عمر مسقاوي والطيب الشريف، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1991، ص43.

تمثل الشروط المعنوية من الحضارة فتتشكل في صورة إرادة تحرك المجتمع نحو تحديد مهماته الاجتماعية والاضطلاع بها.

من خلال مفهوم ابن نبي فإننا نلاحظ ربطه في جميع أعماله تقريبا الاخلاق بالحضارة، حيث اعتمد في جل اعماله بالأساس على الأخلاق، إذ يعد مصطلح الأخلاق أحد أهمّ المصطلحات الفلسفيّة، والحضاريّة الّتي ركّز المفكر مالك بن نبي على دراستها.

كما تحتل الأخلاق مكانة مهمة داخل عالم الثقافة، هذه الثقافة التي تعتبر تركيب متآلف للأخلاق والجمال والمنطق العملي والفن الصياغي أو الصناعة والفن التطبيقي الملائم لكل نوع من أنواع المجتمع، وتضطلع الأخلاق في هذا التركيب بدور التوجيه. كما ترتبط الأخلاق بعالم الأشخاص في علاقته بعنصر الفاعلية التي تزيد وتنقص حسب زيادة أو نقصان ارتباط الأشخاص بالأخلاق. كما يحدد الصلات بين عالم الأشخاص وعالمي الأفكار والأشياء، وكذا داخل عالم الأشخاص ذاته بين أفراد المجتمع[1]. بل ويمتد إلى عالم الأشياء حيث يأتي المنتج المادي كالمذياع مثلا نتيجة للعلاقات الاجتماعية التي تخضع في انتظامها وفعلها إلى المبدأ الأخلاقي[2].

وعليه فإن فكر مالك بن نبي ارتبط ارتباطا وثيقا بالأخلاق والتي تعد المقام الاول في اعماله ودراسته، لأن الاخلاق مصدر رقي الامم.

ثالثا: مفهوم الحضارة:

الحضارة لغة: جاءت كلمة الحضارة من الفعل حَضَر، حضورا وحضارة، ووردت في لسان العرب "الحضارة تعني الإقامة في الحضر"[3].

يعرفها محب الخطيب في قاموسه «الحَضَارة الحاضر الحضور، والحضر هي المدن" سميت بذلك لأن أهلها حضَّروا الأمصار ومساكن الديار التي لهم بها قرار»[4].

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص ص 78، 79.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص ص 89، 90.

[3] ابن منظور، ج. ا. لسان العرب، بيروت: دار الفكر. ط1، ص197.

[4] الزبيدي أبي الفيض ، م. م. ا. تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت: دار الفكر، ط1، ص268.

وتكاد جل أمهات المعاجم اللغوية تجمع على أن الحضارة من الحضر أي الإقامة في المدن و هي خلاف البادية، باعتبار أن الحضارة ماديا متجسدة في التمدن[1]

الحضارة اصطلاحا: هناك عدة أنواع من التعريفات الاصطلاحية للحضارة:

التعريف الموضوعي: تطلق على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني، التي تنطلق من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متماثلة.

التعريف الذاتي المجرد: فتطلق كلمة حضارة على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة التوحش والهمجية، أو تطلق على الصورة الغائية التي تستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة، فإذا كان الشخص يتصف بالأخلاق الحميدة قلنا أنه متحضر والعكس.

ويطلق لفظ الحضارة عند علماء الأنثروبيولوجيا (علم الثقافة والإنسان) على مظاهر الحياة في كل مجتمع متخلف كان أو متقدم، وتطلق على مظاهر التقدم الفكري والمادي معا. والحضارة هي النتاج الفكري والثقافي والمادي المتراكم لأمةٍ من الأمم والتي تمنحها خاصيةً مميزة عن الأمم الأخرى.[2]

وكما تعتبر نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون.

وتبدأ الحضارة حيث تنتهي الاضطرابات والقلق، لأنه إذا ما أَمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها وباختصار الحضارة هي الرقي والازدهار في جميع الميادين والمجالات.

[1] شريف محمد ، رهانات النهضة في الفكر العربي، 1 ط، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ص45.

[2] جيلالي بدر، البناء الحضاري عند ماك بن نبي، دار المعرفة، 1 ط، الجزائر، 2010 ص ص35-36.

رابعا: مفهوم الحضارة عند مالك ابن نبي:

توزَّعت بحوث **ابن نبي** عن الحضارة في العديد من كتبه ومقالاته الّتي أطَّرها بسلسلة "مشكلات الحضارة" التي شغلت حيِّزًا كبيرًا من مشروعه الفكريِّ، وذلك كما في "شروط النّهضة" و"مشكلة الثّقافة"، و" وجهة العالم الإسلامي" و"ميلاد مجتمع" و" آفاق جزائريَّة " وغيرها، معتمدًا العمق في التّحليل والاستفاضة في البحث للوصول إلى إبداع نظريَّة متكاملة في فهم الحضارة وأسباب نشوئها ومشكلاتها التي تعترضها فتؤدِّي إلى أفولها.

بدايةً يشير **ابن نبيٍّ** إلى أنَّ الحضارة بما يتعارف عليه علماء الأنثروبولوجيا تعني «كلَّ شكلٍ من أشكال تنظيم الحياة البشريَّة»[1]، ولا يخلو هذا التّعريف من تعميم مُخِلٍّ؛ إذ لا يخلو أيُّ مجتمع من هذه الأشكال وإن تدنّى مستواها، لينطلق **ابن نبيٍّ** في حفريَّاته في صياغة مفهومٍ للحضارة من خلال بروز المفاهيم التي يتوصَّل إليها مع المجتمعات الّتي تعاني مصاعب التّخلّف والضّعف والقابليّة للاستعمار، مستندًا إلى فرضيّة عدم إمكان التّوصل إلى بناء هذا المفهوم إلّا بدراسة هذه المجتمعات، فالحضارة تتبع ظروف المجتمع المتخلّف وهي أداته الّتي تعطيها القدرة على النموّ، فتكون بذلك «مجموع الشروط المادِّيَّة والأخلاقيّة الّتي تتيح لمجتمع معين أن يقدّم لكلّ فرد من أفراده في أطوار وجوده المساعدة الضروريّة له، فيكون مفهوم الحضارة بذلك مستندًا إلى ظاهرة مركّبة ترتبط بالفرد فكرًا وتعاملًا»[2].

وهنا عمل مالك بن نبي في اشارته الى الحضارة الى وضعها ضمن قوالب واساسيات المجتمع والتي من خلالها يستطيع الانسان، فهم معنى الحضارة. أي أن الحضارة تمثل المناخ الذي يوفر للفرد الحرية والحماية ويقدم له كل ما يحفظ وجوده، فهي ببسيط العبارة تصنع المجتمع وتوفر له ما يضمن بقاء أفراده وتطورهم، فالجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إدراك يحرك المجتمع نحو تحديد مهماته الاجتماعية والاضطلاع بها،

[1] مالك بن نبي ،آفاق جزائرية، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط.ت، ص30.

[2] د. بدران بن الحسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري سلسلة كتاب الأمة، العدد 73، ط1، 2000،ص ص 70-96.

والجانب الذي يتضمن شروطها المادية في صورة إمكان، أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهماته.

لقد انطلق ابن نبي في دراسته لنشوء الحضارة من عدة جوانب، كبنية الحضارة وعناصر تركيبها، إضافة إلى وظيفتها الّتي تتعمّق في فهم الغاية التي تؤدّيها بنُظُمها في المجتمعات الّتي تنتشر أفكارها فيها؛ ليتوصّل في النهاية إلى تحليل طرق نشوء الحضارة وتطوّرها وغايتها الرساليّة الّتي تحقّقها[1]، لنخلص إلى أنّ الحضارة ليست عبارةً عن وفرة المنتجات الفكرية والمادية وتكديسها، إذ إنّ ذلك يتخم المجتمع بالشيئيّة ويسلبه طاقة القيام ويوقعه في خانة التبعيّة والاستهلاكيّة، بينما الأمر على النّقيض من ذلك؛ لأن للحضارةِ قدرةً على البناء والإبداع وصناعة الأُطُر الملائمة لذلك، ضمن رؤية شاملة للوسائل والأهداف.

ويتكوّن مفهوم الحضارة عند **مالك** من عدة محاور ترتكز على انسجام الجهود الإنسانيّة وتكاملها مع قوانين النّهوض المادّي والمعنويّ وجملة الشروط الخاصّة بالنموّ والازدهار في شتّى المجالات الفكريّة والروحيّة والاقتصاديّة والمادّيّة في الواقع المعاش، إذ الغاية من تاريخ الإنسان السّير بركب التقدّم إلى أفضل أشكال الحياة الرّاقية[2]، ومن ثَمَّ تتطلَّب عمليّة بناء الحضارة أُسسًا فكريّةً معيّنةً وجهودًا في عالَمَي الأشخاص والأشياء، ولكنّ ذلك لا يتم إلّا في صورة برنامج تربويّ يهدف لتغيير الإنسان من الداخل وفق شروط معيّنة، حتّى يتمكّن من أداء وظيفته الاجتماعيّة ويحقّق بناء المجتمع المتحضِّر[3].

ويتبين من خلال هذا أن مفهوم الحضارة عند ابن نبي شديد الارتباط بحركة المجتمع وفاعلية أبنائه، سواء في صعوده في مدارج الرقي والازدهار، أو في انحطاطه وتخلفه، وبالتالي فلا بد من فهم عميق، و«فقه حضاري» نافذ لكل من يريد دراسة المجتمعات دراسة

[1] د. بدران بن الحسن، مفهوم الحضارة مجلة نوافذ: اتجاهات فكرية، 2003، ص25.

[2] مالك بن نبي ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص16.

[3] محمد عبد السلام الجفائري مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، د.ط، 125، ص39.

واعية وشاملة، لأن حركة المجتمعات الحضارية ظاهرة تخضع كغيرها من الظواهر الإنسانية "لسنن" و"قوانين" اجتماعية وتاريخية ثابتة.

خامسا: انقداح الحضارة وأثر الفكرة الدينيّة فيها:

لم يغفل **ابن نبيٍّ** في نقاشاته وأبحاثه أهمّيّة الدّين في بناء الحضارة، فعدَّه أساس تحريك عجلة التاريخ ونقطة البداية في بناء صرحها؛ لأثره في حركة التّاريخ ودوره في حياة الأفراد والمجتمعات... ويستند مالك في رؤيته هذه على وجود عناصر الحضارة المادّية في عامّة الأمم، وحاجتها لاستثمار هذه الشّروط والتّأليف بينها إلى المحرِّك أو القادح الذي ينسج عملية البناء والتّركيب فيما بينها، ويختار **ابن نبيٍّ** –في هذا الإطار– "الفكرة الدينيّة" محرِّكة الحضارة وموقدة انطلاقتها، ولعلّنا نجد تأسيسًا لهذا الإطار عند سابقيه كـ **ابن خلدون** في نظريّته عن " العصبيّة" و**توينبي** في نظريّته عن " التّحدي" .[1]

إنّ " الفكرة الدينيَّة" الّتي تقف خلف النهوض الحضاريّ لا تقتصر على مجتمع دون آخر، فسواءً كُنّا بصدد المجتمع الإسلاميّ أو المجتمع المسيحيّ أو المجتمعات الّتي اختفت من الوجود فإنّنا نستطيع أن نقرّر أن الفكرة التي غرست أثرها في حقل التّاريخ ناتجة عن فكرة دينيّة[2].

ولعلّ مردّ هذا عائد إلى أنّ العلاقة الرّوحيّة بين الله والإنسان تولّد العلاقة الاجتماعيّة وتنشئها، وهي ما يربط بين الإنسان والإنسان، فنستطيع بذلك النّظر إلى العلاقة الاجتماعيّة والدينيّة تاريخيًّا على أنها حدَثٌ، ومن الوجهة الكونيّة على أنّها تطوّر اجتماعيٌّ واحد[3]، فبضعفِ العلاقة الدينيّة تضعف الشّبكات الاجتماعيّة وبقوّتها تقوى.

ولعلّ أهمّ آثار هذه الفكرةِ عند **ابن نبي** فهم العلاقة بين قوّة "الفكرة الدينيّة" وضعفها أثناء نشوء الحضارة وتطوّرها أو أفولها؛ فيتجلّى ذلك في انتقال العقل بسبب قوة الروح من

---

[1] عُرابي عبد الحيّ عُرابي – ماجستير في العقيدة الإسلامية – مدرس في جامعة تركيا – أَدِرنه/ تمت الزيارة 2023/05/10على الساعة 23:12/#/?p=7957https://sy-sic.com

[2] مالك بن نبي ميلاد مجتمع، المصدر السابق، 52.

[3] المصدر نفسه، ص53.

مرحلة الخمول إلى النهوض وملء مجالات الحياة بالفنون والعلوم والصّناعات، إلّا أنه لضعف الروح أمام نهضة العقل تخرج الغرائز عن السّيطرة وتتسرّب من المنافذ التي تتيحها المادّة فيتاح لها التّمدّد إلى أن تصل إلى مرحلة التغوُّل في مواجهة "الفكرة الدينيّة"، فتتوقّف آثار هذه الفكرة في المجتمع وتدخل الحضارة ليل التاريخ مُتِمَّةً بذلك دورتها[1].

إنّ الفكرة (الدينيّة/المعنويّة) التي مثَّلت مبعث الحضارة الإسلاميةَ الدينُ الإسلاميُّ، حيث بدأت دورته بنزول القرآن وتغلغل مبادئه في نفوس المؤمنين به، فشهدنا بعد ذلك حياة المثل العليا، كما شهدنا ظهور علوم جديدة وحركة فكرية لا تضاهى، إلى أن ظهرت حياة التّرف وحبّ العظمة، فبدأت شمس الحضارة تأفل رويدًا رويدًا.

ولعلّ أهمّ ما نستخلصه من كلام ابن نبيٍّ عن "الفكرة الدينيّة" وأثرها في بناء الحضارة كونُ الدين العاملَ الأساسَ الّذي يعَدُّ السرّ الكوني المركّب بين ثلاثيّة (الإنسان والتّراب والوقت)، والباعث لها بقوّة فعّالة في التاريخ، فيشكّل الظّواهر والقيم والمبادئ الاجتماعيّة[2]، والحضارة من هذه النظرة الفاحصة لا تقوم إلّا في ظلّ وجود شبكة من العلاقات الاجتماعيّة الّتي تشكّل الميلاد الحقيقيّ للمجتمع في التاريخ وبداية إنجازه التاريخيّ على ضوء "الفكرة الدينيّة"، وما دامت هذه الفكرة مستمرّة في التّركيب بين هذه الفئات الثلاثِ فإنّها ستبقى منتمية إلى كتلة بناء الحضارة في التّاريخ، أمّا إذا صار الإيمان بالفكرة محض جذبٍ فرديٍّ، فإنّه سيفقد إشعاعه، وستنتهي رسالته التّاريخيّة لعجزه عن دفع الحضارة وتحريكها[3].

سادسا: عناصر الحضارة عند ابن نبي:

تتركّب الحضارة من عناصر متعدّدة، إلّا أنّ عناصر تركيب الحضارة ليست منتجاتٍ حضاريّةً بالضّرورة، بل هي أصول تفرضها طبيعة المنتجات وشروط الإنتاج ومن هنا فإنّ **ابن نبيٍّ** يسعى إلى تحليل وافٍ لعناصر الحضارة، داعيًا إلى تناول المسألة كما تتناول

[1] مالك بن نبي ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص ص 104-105.

[2] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص27.

[3] المصدر نفسه، ص27.

المختبرات التّحليلات والتفاعلات الكيميائيّة، وقد توصَّل بعد طول بحث إلى أن عناصرَ البناء الحضاريّة محصورة بالمعادلة الآتية: (منتوج حضاريّ = إنسان + تراب + وقت)

الإنسان:

هو أهم هذه العناصر على الإطلاق، باعتباره هو الذي ينتج الحضارة بالتغيير«غير نفسك تغير التاريخ » والحركة، ولا يغير الإنسان التاريخ إلا إذا غير نفسه والإنسان الذي يقصده مالك بن نبي ليس هو الإنسان الفرد المكون للنوع البشري، بل هو الإنسان الاجتماعي وجهده الجماعي المنتج للحضارة. فالحضارة ليست منتوج فرد بل منتوج فالشخص بذاته ليس مجرد فرد يكون النوع، وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج »: جماعي حضارة، وهذا الكائن هو في ذاته نتاج الحضارة، إذ يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء.

التراب:

إن التراب هنا لا نقصد به التراب المنظور له من حيث خصائصه وطبيعته، ولكننا نعني بالتراب هنا نظرتنا له من حيث القيمة الاجتماعية، وقيمته الاجتماعية مستمدة من قيمة مالكيه وقيمة أمته وحضارتها، إن تشكيل وبناء الحضارة، يجعل من التراب الذي يقدم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في مجالا مجهزا مكيفا تكييفا فنيا يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة، «صورة استهلاك بسيط تبعا لظروف عملية الإنتاج».

الوقت:

إن الزمن عند مالك بن نبي هو الذي يتم تكييفه اجتماعيا، وإدماجه ضمن العمليات الصناعية والاقتصادية والثقافية، باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر اطرادات هذه العمليات. والوقت عند ابن نبي ثروة ثمينة قد تكون مستغلة وقد تكون معطلة، فنحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى الوقت، ولكنه الوقت « للعالم الإسلامي هي معطلة الذي ينتهي إلى عدم، لأننا لا ندرك معناه، ولا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية« ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ».[1]

[1] عُرابي عبد الحيّ عُرابي – ماجستير في العقيدة الإسلامية – مدرس في جامعة تركيا – أَدِرنه تمت الزيارةيوم 2023/05/10على الساعة 23:12/ https://sy-sic.com/?p=7957#.

ومجموع المنتجات الحضاريّة بالضرورة ناتج عن مجموع إنسان ومجموع تراب ومجموع وقت، ومهما تكدَّست المنتجات الحضاريّة فلا يشي ذلك بوجود حضارة حقيقيّةٍ، لتأكيده المستمرّ على فهم الحضارة بناءً مركّبًا يشمل العناصر الثّلاثة فقط مهما بلغت درجة تعقيد هذا البناء[1]، كما يلتزم مالك في أبحاثه عن بناء الحضارة وشروط انطلاقها بمحوريّة الإنسان (فردًا ومجتمعًا) فيها، إذ يعدُّه المحور الرّئيس في أيّ مشروع حضاريّ، فهو البداية والغاية، كما أن قوّة فكره أو مرضه دليل على قوّة حضارته وضعفها، إذ إنّ جميع الأعراض التي ظهرت في السّياسة أو في صورة العمران لم تكن إلّا تعبيرًا عن حالة مرضيّة يعانيها الإنسان الجديد الّذي خلف إنسان الحضارة الإسلاميّة، والذي كان يحمل في كيانه جميع الجراثيم التي سينتج عنها في فترات متفرّقة المشاكل الّتي تعرّض لها العالم الإسلامي منذ ذلك الحين، فالنّقائص التي تعانيها النّهضة الآن، يعود وزرها إلى ذلك الرّجل الذي لم يكن طليعة في التّاريخ[2].

إنّ التّراب لا يكون عامل حضارة إلا بتهيئته مادّة المنتجات الاجتماعيّة، وكذا الوقت، فلا يكون عنصرًا في بناء الحضارة إلّا إذا تكيّف مع المجتمع فأصبح زمنًا اجتماعيًّا تجري فيه عمليّات الصناعة ونهضة الاقتصاد والثقافة، ويضاف الدين إلى هذه العناصر ليكون المركّب الأساس فيما بينها، ومن ثَمَّ فإن رؤية **مالك** لعناصر الحضارة تجتمع بهذه الثلاثية مع "الفكرة الدينيّة" فيطلق عليها مجتمعة مصطلح "العُدَّة الدّائمة" الواجبة لتحقّق الحضارة[3].

دورة الحضارة:

لم يحصل أن اتّفق المفكّرون على تعريف واحدٍ للحضارة أو عوامل تطوّرها وانتكاسها والعمر المفترض لها، إلا أنّهم عمدوا إلى رسم دوراتٍ يرون الحضارات داخلة فيها، فمن دورة العصبيّة عند **ابن خلدون** إلى التناقض عند **هيجل** أو صراع الطبقات عند **ماركس** أو الأطوار الثلاثة عند **دوركايم**، وقد استفاد **ابن نبي** من فكرة دورات الحضارة الّتي بحثها

[1] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص36.

[2] المصدر نفسه، ص36.

[3] مالك بن نبي شروط النهضة، المصدر السابق، ص 92.

المفكّرون وعلماء الاجتماع السّابقون، فتفحّص مقالاتهم ونقدها، واستفاض في البحث لتكوين نظرةٍ جامعة في فهم دورات الحضارة، فتوصّل إليها وحدَّد مخصّصاتها وشروطها، وضبطها بين البداية والأفول، محدّدًا المرحلة التي تسبق البداية والمعالم الّتي تسم النهاية[1]، فابتدع **ابن نبيٍّ** دورة (النهوض والأوج والأفول) بحسب التَّفاعل الذي تقوم به الفكرة الدينيّة مع ثلاثيّته الشهيرة على نحو ما أسلفنا من أنّ الحضارة تبدأ بارتباط فكرة دينيّة معيّنة تنهي سطوة الغرائز الجسديّة وتطلق الروح من سجنها فينطلق العقل معها ليَؤُول الحال مرّة أخرى إلى ارتباط الغرائز بسطوة العقل فخمود الألق الروحيّ وسيطرة المادّة على حسابها[2].

ومرَدُّ هذه الدورة برأي الباحث عائد إلى أنّ أيَّ حضارةٍ إنما تنتج عن فكرة جوهرية تطبع المجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، وتدفعه لدخول ميدان التاريخ بحضارة واثقة، فقد أخرجت الفكرة المسيحية أوروبا إلى مسرح التاريخ، وبنت عالمها الفكري انطلاقًا منها، إلا أنّها تغيّرت بتغيّر فكرتها مع استعادة عصر النهضة أدبيّات الإغريق وفلسفاتهم الماضية لتصبح حضارة الغرب بذلك معنيّة بالمادّة لا الرّوح، ولو أردنا دراسة دورة الحضارة الإسلاميّة –في تطبيقٍ لنظريّته– فإننا نلحظ بدايتها مع الفكرة الدينيّة الإسلامية، ففي مرحلة ما قبل الحضارة كانت الجاهليّة تضرب أطنابها على مجتمع الجزيرة العربيّة، فجاءت الفكرة الدينية الإسلامية محرِّرةً الروح من ربقة غرائز الواقع المحيط بها، ودفعت بمعتنقيها إلى طور الأوج، فقام المسلمون بالفتوح ونشر العلوم وتطوير الفنون، لتصل إلى طور الأفول مع نهايات طور الأوج، أو ما سمّاه عصر ما بعد الموحّدين– حيث بدأت قوّة الفكرة الدينيّة في تسيير المجتمع بالغياب ومالت الطّبيعة إلى استعادة غَلَبَتِها على الفرد والمجتمع[3]،وهكذا نصل إلى النّتيجة الّتي وصل إليها **ابن نبيٍّ** من قبل في عدمِ وجود حضارةٍ ما تكاد تشذّ عن هذه الدورة.[4]

---

[1] مالك بن نبي شروط النهضة، المصدر السابق ، ص99.

[2] المصدر نفسه، ص 105.

[3] المصدر نفسه ، ص ص102–104.

[4] عُرابي عبد الحيّ عُرابي – ماجستير في العقيدة الإسلامية – مدرس في جامعة تركيا – أَدِرنه تمت الزيارة يوم 2023/05/10على الساعة 23:12/#/https://sy-sic.com/?p=7957.

تعاني الحضارة – لا ريب– من مشكلات عديدة ترهقها وتترابط فيما بينها بوشائج متعدّدة تدفعها إلى النّكوص عن غاية النهوض الروحيّ والسموّ العقليّ إلى غايات المادّة وطغيان الأشياء والاستهلاك وتصنيم الأشخاص، وذلك لغياب الفاعليّة المطلوبة من العقيدة والأفكار والثّقافة، وهو ما يحتاج بحدّ ذاته إلى توسُّعٍ وتقصٍّ مستفيض يوضّح المقصود بالفاعليّة وقواعدها وأنواعها وأسباب تخلّفها عن أداء دورها.

وفي الأخير لا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته النهضويّة ما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها؛ إذ الحضارات المعاصرة والماضيةُ والقادمُة عناصر للملحمة الإنسانيّة منذ فجر القرون إلى نهاية الزمن، فهي حلقات لسلسلة واحدة منذ أن هبط آدم على الأرض إلى آخر وريثٍ له فيها[1]، ومن ثَمَّ فإنَّ أهمَّ ما يمكننا الختمُ به من آراء **ابن نبيّ** في الحضارة كونها مفهومًا مركّبًا يتساوق مع الظّاهرة الحضاريّة في نشأتها وتطوُّرها وأفولها؛ إذ هي في فحواها انسجامٌ لجهود الإنسانيّة مع السُّنن الإلهيّة في النّهوض المادّي والمعنويّ في شتّى المجالات الإنسانيّة والعلميّة والدينيّة، فالغاية من ذلك التقدّم والارتقاء بالإنسان إلى أفضل أشكال الحياة الممكنة، إلّا أنّ عمليّة بناء الحضارة تستدعي أُسَسًا يحصرها ابن نبي في عالَمَي الأشخاص والأشياء، إضافةً إلى حاجتها لمحرِّك يعطي العمليّة البنائيّة قوّتها واستمرارها، وهو ما حدَّده بـ "الفكرة الدينيّة" المنتمية –بضرورة الحال– إلى عالَم الأفكار، مشيرًا إلى أنّ ذلك لا يتمُّ إلّا بتنسيق شاملٍ يهدف لتغيير الإنسان من الداخل وفق شروط معيّنة، تُمكِّنهُ من أداء وظيفته الاجتماعيّة وبناء المجتمع المتحضِّر، واختلال هذه الشروط عند **ابن نبيّ** سيؤدّي لطغيان هذه العناصر بعضها على بعضٍ، وانزواء الأفكار المحرِّكة للحضارة مقابلَها؛ مما يُنذر بأفول شمسها واستفحال التبعيّة الفكريّة والاستهلاكيّة وأمراض عديدةٍ في جَسد المجتمع وفكرِه.[2]

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، المصدر السابق، ص ص19–20 .

[2] عُرابي عبد الحيّ عُرابي – ماجستير في العقيدة الإسلامية – مدرس في جامعة تركيا – أَدِرنه
تمت الزيارة يوم 2023/05/10 على الساعة 23:12 https://sy-sic.com/?p=7957#.

الفصل الثاني

الأخلاق والحضارة

المبحث الاول: علاقة الأخلاق بالحضارة

المبحث الثاني: الأخلاق وعلاقتها بعناصر الحضارة

تمهيد:

يبني مفهوم الحضارة عند مالك ابن نبي على اعتقاده الراسخ بأن "مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدماه.

وانطلاقا من هذا الاعتقاد الراسخ بأهمية الحضارة وضرورة "فقه" حركتها منذ انطلاقتها الأولى إلى أفولها يحاول ابن نبي إعطاء تعريف واسع للحضارة، يتحدد عنده في ضرورة "توفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه.

وعلى هذا فكل ما يوفره المجتمع لأبنائه من وسائل تثقيفية وضمانات أمنية، وحقوق ضرورية تمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه، حيث ترتبط الاخلاق بجوهر الحضارة ارتباطا وثيقا من خلال عناصر، وعليه سنحاول فهم هاته العلاقة.

المبحث الاول: علاقة الأخلاق بالحضارة

1 -الأخلاق والفكرة الدينية:

تعتبر الفكرة الدينية هي منبع الأخلاق وأساس قيام الحضارات، حيث استعملت في كتابه شروط النهضة أكثر من عشرين مرة، كما أفرد لها فصلا كاملا يوضح فيه أثرها في بناء الحضارة، والفكرة الدينية (عقيدة وعبادة ومعاملات وأخلاق) وقال مالك بن نبي في مقدمة كتابه هذا «إن الفكرة الدينية لا تقوم بدورها الاجتماعي إلا بقدر ما تكون متمسكة بقيمتها الغيبية في نظرنا أي بقدر ما تكون معبرة عن نظرتنا إلى ما بعد الأشياء الأرضية»[1]، باعتبارها «قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية أي حضارة، وتلك القوة مرتبطة في أصلها بغريزة (الحياة في الجماعة) عند الفرد... والمجتمع الذي يجتمع لتكوين حضارة فإنه يستخدم تلك الغريزة نفسها ولكنه يهذبها ويوظفها سامية».[2]

فالفكرة الدينية بدورها الاجتماعي الذي تكون فيه قوة تماسك لأفراد المجتمع، فإنها تنتج لنا أخلاق منبعثة من الإنسان الذي يعد رأس الحضارة، والروح يطلقها مرادفة للفكرة الدينية: حيث ذكرت أكثر من مرة وقال «الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض تأتيها مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض»[3]، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال 63][4].

يقول مالك : « وإن الحضارة الغربية قامت في بدايتها على هيكل أخلاقي مسيحي أتاح لها التماسك والوثبة الضرورية لازدهارها ولكن تطورها قد غير هذا الأساس العقيدي شيئاً فشيئاً،

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص15.

[2] المصدر نفسه، ص94.

[3] المصدر نفسه، ص94.

[4] الآية رقم 63 سورة الأنفال.

إلى هيكل مختلط يتجلى فيه التفكير الكاثوليكي والبروتستانتي، وما يسمى بالتفكير الحر، والتفكير اليهودي بصورة متوافقة تماماً»[1].

وعن أثر الدين في دور الحضارة يرى أنه لا يختلف تطور الحضارة المسيحية عن تطور الحضارة الإسلامية، وهما ينطلقان من الفكرة الدينية التي تطبع الفرد بطابعها الخاص وتوجهه نحو غايات سامية[2].

ومن هنا يبرز دور الفكرة الدينية بإعتبارها محفزا للأخلاق هذا لأن «الأخلاق كانت موجودة في جزيرة العرب قبل نزول الوحي، حيث أن طبائعهم كانت أشبه ما تكون بالمادة الخام التي لم تظهر بعد في أي بوتقة محمولة، فكانت تتزآى فيها الفطرة الإنسانية السليمة، والنزعة القوية إلى الاتجاهات الإنسانية الحميدة كالوفاء والنجدة والكرم والإباء والعفة»[3]. ومن هذا التحول الذي شهدته جزيرة العرب تعد الأخلاق عنصر مهم و شرطا لفاعلية الفكرة الدينية لتحقيق النهوض الحضاري.

2- الحضارة.

ورد مفهوم الحضارة عند بن نبي في عديد التعريفات نورد منها الآتي: «أن الحضارة مجموعة من العلائق بين المحال الحيوي البيولوجي حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، وبين وهذا يعني! المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها، فعندما نشتري منتجاتها فإنها تمنحها هيكلها لا روحها»[4].

ومن ناحية الكم ليس من الممكن أن نتخيل العدد الهائل من الأشياء التي تشتريها، ولا أن نجد رأس المال الذي ندفعه فيها، فينتهي الأمر إلى حضارة شيئية، أي تكديس الأشياء الحضارية. أي الحضارة التي تنشئ منتجتها ولا تشتريها.

---

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص50.

[2] مالك بن نبي ، فكرة الافريقية الاسيوية، المصدر السابق، ص140.

[3] محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، دار السلام، جمهورية مصر العربية، ط19، 2007، ص 30.

[4] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص30.

3-أهمية الأخلاق في النهوض الحضاري

تظل القيم الخلقية نقطة ارتكاز في مسيرة الأمم والحضارات، فبالتمسك بما يكون التقدم والنهوض، ويتمرن الإنسان على فعل الخير وترك الشر، وتقوى إرادته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم« إن من خياركم أحسنكم أخلاقا»[1]، «إن نهضة الأمم وازدهار حضارتها وتطورها يرتبط بامتلاك أبنائها نفوسا قوية، وعزيمة ماضية وهمما قوية، وأخلاقا حميدة، وسيرة فاضلة وتماسكا فيما بينها وإيمانا صادقا بفكرتها»[2]، لذا فلأخلاق من أسمى الغايات الإنسانية ومن أعظم مقومات الحضارة فلا بد من نهضة هائلة تكتشف فيها الإنسانية أن ما هو أخلاقي هو أعلى مراتب الحق والعمل، فإذا انتشرت الروح الأخلاقية كالتضحية وروح الإخاء، والتعاون، وتحقيق المساواة والعدالة، وتنفيذ العهود، سوف تؤدي إلى التقدم، وهي خير وسيلة لبناء الفرد والمجتمع، خير دولة وحضارة إنسانية»[3]، وغيرها من القيم التي أسسها الوحي الكريم، «والتزمها خيار الأمة وقادتها فارتفعت بهم إلى مستوى الفعل الحضاري الإسلامي»[4]، وهي «ضرورية لتحقيق التماسك والتجانس الاجتماعي لتحقيق نهضة اجتماعية قوية»[5] أي نهضة حضارية.

4- دور الأخلاق في النهوض الحضاري:

تعد الأخلاق أساس بناء الإنسان وإعداده، فإن غابت الأخلاق غابت الإنسانية، توافقا مع قول الشاعر أحمد شوقي إنما الأمم الأخلاق ما بقيت.... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا، «فالقيم الخلقية هي التي تنظم سلوك الأفراد والجماعات، وتضع مؤشراته وضوابطه وتلعب دورا كبيرا في حركة الأمم ونهوضها»[6]، و«تدخل في مختلف نظم الحياة، وفي مختلف أوجه

---

[1] محمد بن اسماعيل عبد الله البخاري، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، ج3،ط3، دار بن كثير اليمامة، بيروت، 1407هـ/1987م، باب صفة النبي صلى الله عله وسلم، رقم الحديث:3366، ص1305.

[2] ايمان عبد المؤمن سعد الدين، الأخلاق في الاسلام " النظرية والتطبيق"،ط1، الرياض،2002م. ص252.

[3] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص30.

[4] مالك بن نبي شروط النهضة ، المصدر السابق، ص31.

[5] مقداد يلجن محمد علي، علم الأخلاق الاسلامي، دار عالم الكتب،ط2، الرياض، ص11.

[6] عبد المنعم الطائى، دور الأخلاق في نهوض وإنهيار الحضارات، منتديات مريس درة اليمن www.mureis.com 2023/03/23 الساعة 19.16.

أوجه نشاطها، سواء في السلوك الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، ولا يمكن قيام حضارة من دون أخلاق وقيم فاضلة وهذه القيم ونحوها هي صمام أمان يكفل دوام الحضارة ويمنع انحرافها وتعثرها»[1]، وبهذا تكون للأخلاق دور بارز ومهم في قيام الحضارات، فهي من أهم أسباب الرقي الحضاري ومقومات النهضة الحقيقية... «فهي ركيزة أساسية في تهذيب السلوك الإنساني وتنظيم العلاقات الإنسانية على أسس قويمة من السمو الروحي والمعاملة الجميلة، وعنصر فعال في شيوع المحبة والألفة والتماسك والترابط بين أفراد المجتمع»[2]، للأخلاق دور بارز في النهوض الحضاري، هذا ولكونها تدخل في مختلف نظم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها فهي سياج أمان لبقاء واستمرار ذلك النهوض، كما أنها تنظم السلوك والعلاقات الإنسانية وتشيع المحبة والألفة والترابط بين أفراد المجتمع.

5-أهمية ودور الأخلاق في الحضارة عند بن نبي

إن أهمية الأخلاق في النهوض الحضاري تكتسبها من أهمية مصدرها الديني والذي عبر عنه بن نبي بالفكرة الدينية وذلك باعتبارها المركب للعناصر الحضارية وضمان لاستمرارية، «إذ أنها تطبع الغرد بطابعها الخاص وتوجهه نحو غايات سامية»[3].

أما دورها فيتجلى في كونها جعلت جزيرة العرب التي كانت فيها العوامل الثلاثة الإنسان والترب والوقت، راكدة وخامدة مكدسة لا تؤدي دورا في التاريخ حتى إذا تجلت الروح بغار حراء ونشأت من بين هذه العوامل حضارة جديدة، وتحول فيه البسطاء ذو الحياة الراكدة عندما مستهم شرارة الروح إلى دعاة إسلاميين تتمثل فيهم خلاصة الحضارة الجديدة، وإن يدفعوا بروحها وثبة واحدة، إلى تلك القمة الخلقية الرفيعة التي إذا انتشرت معها حياة فكرية واسعة متجددة نقلت من العلوم ما نقلت وأدخلت علوما جديدة[4].

---

[1] هائل سعيد الصرمي، الأخلاق والحضارة، رابطة أدباء الشام http://www.odaba sham.net /، تمت الزيارة 2023/03/، الساعة 21.02.

[2] مالك بن نبي شروط النهضة ، المصدر السابق، ص31.

[3] المصدر نفسه، ص77.

[4] المصدر نفسه، ص56.

ومن هنا يبرز دور الفكرة الدينية باعتبارها محفزا للأخلاق هذا لأن «الأخلاق كانت موجودة في جزيرة العرب قبل نزول الوحي، حيث أن طبائعهم كانت أشبه ما تكون بالمادة الخام التي لم تظهر بعد في أي بوتقة محولة، فكانت تتراء فيها الفطرة الإنسانية السليمة، والنزعة القوية إلى الاتجاهات الإنسانية الحميدة كالوفاء والنجدة والكرم والإباء والعفة»[1]، ومن هذا التحول الذي شهدته جزيرة العرب تعد الأخلاق عنصر مهم وشرطا لفاعلية الفكرة الدينية لتحقيق النهوض الحضاري. «وقد ظلت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيسي من ليلة حراء إلى أن وصلت الحضارة إلى القمة الروحية للحضارة الإسلامية».[2]

فهو يرى أن «دورة الحضارة تبدأ حينما تدخل في التاريخ فكرة دينية معينة أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين، كما أنها تنتهي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة والمكبوحة الجماح»[3]، والروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم فالأخلاق تجذب الغرائز، كما أن الفكرة الدينية تشترط سلوك الإنسان حتى تجعله قابلا لإنجاز رسالة محضرة، كما أنها تحل لنا مشكلة نفسية اجتماعية أخرى ذات أهمية تتعلق باستمرار الحضارة»[4] ، «حيث أنها تخلق في قلوب المجتمع بحكم غائية معينة (الآخرة)، وذلك بمنحها إياها الوعي بهدف معين، تصبح معه الحياة ذات دلالة ومعنى. وهي حينما تمكن للهدف من جيل إلى جيل ومن طبقة إلى أخرى فإنها حينئذ تكون قد منحت البقاء للمجتمع ودوامه وذلك بتثبيتها وضمانها لاستمرار الحضارة».[5]

لهذا فالأخلاق التي يتحلى بها الإنسان ليست متوقفة في الدنيا بل هي متعدية للآخرة، كما يجب أن تكون ذات فاعلية ووقع في المجتمع كما عبر عنها مالك بن نبي لا مجرد صفة راسخة في النفس كما هي في الجانب الفلسفي.

---

[1] مالك بن نبي شروط النهضة ، المصدر السابق ، ص57.

[2] المصدر نفسه، ص58.

[3] المصدر نفسه، ص80.

[4] المصدر نفسه، ص79.

[5] المصدر نفسه، ص80.

المبحث الثاني: الأخلاق وعلاقتها بعناصر الحضارة.

تناول مالك بن نبي الأخلاق من عدة زاويا التحليل الاجتماعي لا الفلسفي، وسيكون بيان علاقتها بالنهوض الحضاري" الحضارة" من خلال المجالات الآتية : السياسة

أولا: علاقة الاخلاق بالسياسة:

في بيان هذه العلاقة نقف على مفهوم السياسة عند بن نبي وهي «توجيه لتحقيق بناء المجتمع في الداخل وتحقيق مكانة في الخارج فنرى بأن السياسة تسعى إلى توجيه الطاقات الاجتماعية لبناء المجتمع والتي من بينها عنصر الأخلاق، كما أن السياسة التي تجهل قواعد الاجتماع أسسه لا تستطيع إلا أن تكون دولة تقوم على العاطفة في تدبير شؤونها، وتستعين بكلمات جوفاء في سلطانها»[1]

الممارسة السياسية في فكر مالك بن نبي:

يتكلم مالك بن نبي عن نوعين من الممارسة السياسية، نوع يتم فيه التطابق بين الفعل السياسي والأخلاق أو المثال الأخلاقي، ونوع يتم فيه استبعاد الأخلاق أو عدم التطابق بينهما. وهو ما يمكن الوقوف عليه في التاريخ الإسلامي، حيث ساد النوع الأول تلك الفترة التي شهدت التطابق بين المثال الإسلامي الذي نص عليه الكتاب والسنة، حيث تجسد خاصة في الفترة الأولى ممثلة في الخلافة الراشدة. والنوع الثاني الذي أعقب هذه الفترة حيث ساد الملك العضوض مصداقا لقول الرسول «ﷺتكونُ النُّبوَّةُ فيكُم ما شاءَ اللَّهُ أن تَكونَ، ثمَّ يرفعُها اللَّهُ إذا شاءَ أن يرفعَها، ثمَّ تَكونُ خلافةٌ على منهاجِ النُّبوَّةِ، فيَكونُ ما شاءَ اللَّهُ أن يَكونَ، ثمَّ يرفعُها إذا شاءَ أن يرفعَها، ثمَّ يَكونُ مُلكًا عاضًّا، فيَكونُ ما شاءَ اللَّهُ أن يَكونَ..»[2].

ومن منظور موضوعي سنبدأ بالحديث عن المرحلة الراهنة للممارسة الأخلاقية حيث تستبعد الأخلاق، لنستعرض بعدها النموذج المثالي لهذه الممارسة وجملة القيم التي خضعت لها هذه الممارسة وما يجب أن تلتزم به أي ممارسة مستقبلية تدعي أنها أخلاقية أو إسلامية أو تريد ذلك حسب مالك بن نبي.

---

[1] مالك بن نبي شروط النهضة ، المصدر السابق ، ص48.

[2] رواه العراقي، في محجة القرب، عن حذيفة بن اليمان، الصفحة أو الرقم: 175.

النوع اللاأخلاقي للممارسة السياسية: نجد أن لهذا النوع وجودا قويا أولا في الحضارة الغربية التي تنكرت لمنابعها، وثانيا في المجتمع المسلم الذي ضيع طريقه منذ دخوله في دوامة التخلف الحضاري، حيث سنكتشف تأثير الحالة الغربية على الحالة الإسلامية المعاصرة، سواء وفق قاعدة تقليد الغالب للمغلوب، أو وفق المكر والتخطيط الغربيين.

النموذج الغربي لخيانة الأخلاق في الممارسة السياسية: بعد ظروف خاصة مر بها الغرب بممارسته السياسة عن الأخلاق، وهو ما يمكن حصره في علاقة السياسة بالأخلاق، وبعد تقرير هذا الفصل بين السياسة والأخلاق كان لا بد من التطرق إلى نموذج سياسي للفصل بين السياسة أو الممارسة السياسية، فكانت الديمقراطية كأفضل نموذج تكلم فيه مالك بن نبي.

السياسة والأخلاق: بعدما حققه العلم في الغرب من كشوف كبيرة في مجالات المادة خاصة تعدى العلم في القرن التاسع عشر مجاله الخاص، إلى مجالات الحياة العامة، حيث أمّنته البشرية على حياتها ومصيرها، فورطت بفضل هذا الاعتقاد نفسها في متاهات وكوارث ما زالت تجترّها إلى يومنا هذا. وهنا حدثت القطيعة بين الأخلاق والسياسة، أو بعبارة أدق بين الدين والسياسة، وهنا أصبحت الأخلاق وكأنها رمزا لكل تخلف عكس العلم الذي أصبح رمزا لكل تقدم في تقسيم للكائن الإنساني إلى جزأين: معنوي ومادي وهو ما تكون نتيجته تقسيم الأمة ثم الإنسانية كنتيجة نهائية[1].

ويتعدى هذا الأمر السياسة إلى الاقتصاد، باعتبار الاقتصاد في حقيقته إسقاط للبعد السياسي على نشاط إنساني معين. فالعلم إذا تجرد من الأخلاق فإنه يقود الاقتصاد بدوره إلى التجرد منها سواء في الإطار الوطني أو الإطار الدولي. ويمكن ملاحظة ذلك في الصراع الطبقي بين طبقة الملاك (البرجوازية) وطبقة العمال (البروليتارية)، الذي هو في نهاية الأمر صراع مصالح وأنانية بحته "فالأول (البرجوازي) يريد مزيدا من الذهب في

[1] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1978، ص74.

خزينته، والثاني (العامل) يريد مزيدا من اللحم في بطنه، وكلاهما بمقتضى تعاليم أيديولوجيته يتطلع إلى الاستيلاء على السلطة"[1].

لقد كانت نتيجة عملية الانفصال بين الأخلاق والحياة العملية على مستوى التصور والممارسة داخل المجتمع الغربي جملة من النتائج الخطيرة قد يكون أبرزها حربين عالميتين كانت تكاليفها باهظة خصوصا في الغرب. وإن كان الانفصال ما لبث أن حدث داخل الانسانية ذاتها بين المجتمعين الغربي والشرقي عموما، لكن الكتلتين السابقتين سرعان ما يتوحدان عندما يتعلق الأمر بإنسان المستعمرات في سقطة أخلاقية أخرى.

وكنتيجة لما سبق يمكننا أن نسجل مع مالك بن نبي أنه إذا كان: "العلم دون ضمير ما هو إلا خراب الروح، فالسياسة من دون أخلاق ما هي إلا خراب الأمة"[2].

وعطفا على التقديم الذي قدمنا به هذا العنصر، نستطيع القول أن العقل العربي (المقلد) لم ينتبه في هذا الجانب إلا إلى مظهره الخلاب، صورة العلم منعكسة في السياسة، والذي استتبعه ابعاد الدين أو الأخلاق عن الشأن العام، متجاهلا أو غير منتبه إلى تلك النتائج الكارثية التي خلفها هذا الأمر في الغرب. إن هذا التصور ما زال مسيطرا على طائفة كبيرة من المثقفين العرب ممن يمكن تسميتهم بالعَلمانيين ـ حيث يعتقد هؤلاء التطابق بين العَلمانية والعِلم ـ والأدهى من هذا أن هذه الطائفة قد جرى التمكين لها من قبل الاستعمار وهذا ما يفسر الحالة التي آل إليها العالم الإسلامي والعربي منه خاصة.

-مبادئ السياسة عند مالك بن نبي:

يستخرج مالك بن نبي جملة المبادئ الأخلاقية التي يجب أن تلتزم بها الممارسة السياسة كما يتصورها من الأصول المؤسسة للحضارة الإسلامية، ونقصد بهذه الأصول: القرآن الكريم، والسنة النبوية بشقيها النظري والعملي، والنماذج السياسية الملهمة لفترة الخلافة الراشدة. وتتمثل جملة هذه المبادئ فيما يلي:

[1] مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه ، المصدر السابق، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص80.

1.الثقة: يرى مالك بن نبي أن أهم عنصر حفظ للدولة الوليدة بقاءها وازدهارها، وهو ما يجب الاهتمام به هو علاقة الحاكم بالمحكوم، والتي تبنى على عنصر الثقة، وهو في ذلك يستشهد بحكمة كونفشيوس عندما حدد للسياسة ثلاث مهام يجب أن تحققها هي: لقمة العيش، والتجهيزات العسكرية، وثقة المحكوم بالحاكم، وعندما سئل عن أيهم يمكن الاستغناء عليه أشار إلى المهمتين الأوليتين على الترتيب دون المهمة الثالثة لأن المواطنين "إذا فقدوا الثقة لم يبقى أي أساس للدولة"[1].

2.الطاعة: وثاني هذه المبادئ الأخلاقية التي لا قوام للدولة إلا بها الطاعة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [سورة النساء، الآية: 59]. غير أن هذه الطاعة ليست مطلقة، بل هي بدورها منضبطة بضوابط الشرع، وهو ما أكد عليه عمر ﴿ رضى الله عنه﴾ ذاته يوم تنصيبه خليفة للمسلمين عندما قال: "من رأى منكم في اعوجاجا فليقومني"[2].

3.النزاهة والكفاءة والملائمة: تأتي كشروط أساسية لتولي المسؤوليات في الدولة المسلمة، وهي تشترط مجتمعة، ويقصد مالك بن نبي بالملائمة هنا القدرة على تلبية شروط المنصب، وكم من حاكم عزله عمر ﴿ رضى الله عنه﴾ وكان الخليفة يقول: ليس لطعن في نزاهته ولا لنقص في كفاءته. ومن ذلك عزل عمر ﴿ رضى الله عنه﴾ أبو عبيدة بن الجراح عن قيادة الجيش، ولكن لما حضرت عمر ﴿ رضى الله عنه﴾ الموت تمنى لو كان أبو عبيدة حيا فيستخلفه شؤون المسلمين[3].

4.النقد الذاتي: ويعني في عرف الإسلام: الإقرار بالذنب أو الإعلان عن الخطيئة. فتراجع الحاكم عن مواقف اتخذها لخطأ ما وإعلان ذلك على الأشهاد، كفيل بمد جسور الثقة بينه

---

[1] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988، ص132.

[2] يوسف محمد حسين، موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2010.ص 477.

3. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص 133.

وبين محكوميه، وهو ما يؤدي إلى ازدهار الدولة ذاتها. وقد ضرب عمر ﴿ رضى الله عنه﴾ في هذا الأمر المثل، عندما "اعتقد الخليفة أنه قد أثملته نشوة السلطة. فما كان منه إلا أن استدعى الصحابة وجمعهم حذو المنبر، ليعلن أمامهم ما مؤداه: أنه لم يكن شيئا مذكورا، بل هو أقل من اللاّشيء؛ وأنه لا يعدو كونه مجرد راعي ماشية جعل منه الإسلام خليفة"[1].

5.مبدأ العدل: وهو مبدأ سام من مبادئ الإسلام السياسية، يرى في غيابه ابن خلدون إيذانا بخراب العمران. ويأخذ مشروعيته من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: 58]. ويورد مالك بن نبي واقعة لعمر بن الخطاب ﴿ رضى الله عنه﴾ تسجل الدليل على الأخلاقية التي كانت تحكم السياسة، وذل عن يهودية رفضت أن تأخذ بيتها لتوسعة المسجد، حيث كان لها ذلك من قبل الخليفة عمر ﴿ رضى الله عنه﴾ ا لذي رفعت شكواها له بذلك. وهذه المعاملة "تدخل أولا في نطاق التقويم العام للإنسان بصفته إنسان وضع في طينته التكريم"[2].

6.مبدأ التبادل: ويؤسسه مالك بن نبي على الآية الكريمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[3] [سورة آل عمران، الآية: 110]، ويكون بين الفرد والمجتمع حيث كل طرف يصحح للآخر أخطاءه "ففي المجتمع المتحضر يقع كل خطأ في الأسلوب تحت طائلة النقد، ويقع كل خطأ في السلوك تحت إرغام المجتمع"[4].

ثانيا: الأخلاق وعلاقتها بالثقافة

عرف مالك بن نبي الثقافة على أنها «مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا المحيط الذي يشكل فيه الغرد طباعه وشخصيته»[5]، فمن خلال هذا التعريف نرى

---

1. مالك بن نبي، آفاق جزائرية، مالك بن نبي، آفاق جزائرية، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط، 1991، ص 193، 194.

[2] مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص 86.

[3] سورة آل عمران، الآية110..

[3] مالك بن نبي، آفاق جزائرية، المصدر السابق، ص 134.

[5] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص89.

بأن الأخلاق والقيم الاجتماعية متضمنة في الثقافة، باعتبارها السلوك الاجتماعي للفرد كما أنها تعد «الخيط الذي يعكس حضارة معينة»[1]، كما عبر عنها في موضع آخر بأنها «توجيه الطاقات الفردية، التحقيق بناء الفرد في الداخل بالنسبة إلى مصلحته، ولتحقيق مكانة في المجتمع بانسجام تلك المصلحة مع مصلحة المجتمع»[2] فالثقافة تسعى إلى بناء الفرد لتحقيق مصلحته ومصلحة المجتمع وهذا البناء لا يكون إلا بتوفر عنصر الأخلاق.

فالثقافة هي «الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في مجتمع آخر غير أنها لا تستطيع أن تكون كذلك أي أسلوب حياة إلا إذا اشتملت على عنصر يجعل كل فرد مرتبطا بهذا الأسلوب»[3] ألا وهو عنصر الأخلاق الذي يعد شرطا أساسي من شروط الثقافة التي تشتمل على أربعة عناصر «الأخلاق، الجمال، المنطق، العملي، الصناعة» «فالمبدأ الأخلاقي يقوم ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصور بدونه عالم الأشياء...»[4].

إذن فالأخلاق شرط أساسي للثقافة وبقدر ما تكون الثقافة متطورة، فإن البذور الأخلاقية والجمالية تكون أقرب إلى الكمال، حتى تصبح من ثم القوانين المحددة التي يخضع لها نشاط المجتمع والدستور الذي تقوم عليه حضارته إذن فالثقافة وحدة ذات أجزاء متماسكة ومترابطة فيما بينها بروابط داخلية، تحددها عبقرية الشعب الذي وضعها مطابقة لأخلاقه وأذواقه وتاريخه» و«المبدأ الأخلاقي + المبدأ الجمالي اتجاه حضارة» فالأخلاق عامل مهم إذ يتم من خلالها تحديد اتجاه الحضارة، و«العناصر الثقافية موجودة في كل الحضارات»[5] والتي من بينها عنصر الأخلاق الذي يعد جوهر الثقافة وعنصر فعال لتحقيق النهوض الحضاري.

---

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق ، ص147.

[2] المصدر نفسه، ص147.

[3] المصدر نفسه، ص148.

[4] المصدر نفسه، ص118.

[5] المصدر نفسه، ص118.

ثالثا: الأخلاق وعلاقتها بالإقتصاد

عرف الاقتصاد بقوله «آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي»[1]، بدأ من اعتبار رأس المال، وأنه «يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط أكبر من محيط الفرد، وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته الخاصة»[2] فهذا يوحي بأن هناك ارتباط بين الأخلاق والاقتصاد وفي هذا قال بن نبي«....لا يكون تركيز رؤوس الأموال في أيدي قلة قليلة... بل يجب أن يتوفر فيه إسهام الشعب مهما كان فقيرا وبذلك التعادل بين طبقات المجتمع، وتنسجم مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد»[3] إذن فخلق العدل ضروري للاقتصاد ومن خلاله تنسجم مصالح الفرد مع الجماعة انطلاقا من هذا فالأخلاق عنصر مهم في النهوض الحضاري الذي هو مهمة جميع الشعب دون استثناء، فالإقتصاد «ليس قضية إنشاء بنوك وتشيد مصانع فحسب بل هو قبل ذلك تشيد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات وهذا يؤكد على الإرتباط الوثيق بين الأخلاق والإقتصاد الذي يسعى إلى بناء الفرد وإنشاء سلوكه»، «وأي نظام إقتصادي هو توجيه القوى الأخلاقية»[4].

رابعا: التربية وعلاقتها بالاخلاق

إذا قادنا الحديث عن مفهوم التربية عند مالك بن نبي تجده أنه لم يعطي لها تعريفا أو مفهوما واضحا ومحددا في جل مؤلفاته ولم يتكلم عن ذلك بشكل مباشر، فنجد مالك بن نبي كان عكس الفلاسفة والمفكرين العرب الذين تناولوا مفهوم التربية في فكرهم بشكل مباشر وبشكل تلقائي ورغم ذلك إلا أنه كان بإمكاننا استخلاص أو استنتاج بعض التعريفات للتربية عنده وكان ذلك من خلال أفكاره التربوية أو المضامين التي لها صلة من خلال إنتاجه الفكري لما يتضمنه من قيم تربوية ذات أبعاد مختلفة، إلا أن مالك بن نبي جعل مفهوم التربية مرتبط بالثقافة ومتداخلة في معناها بحيث قال: «إنها عملية تثقيف متواصلة وتتمثل

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق ، ص118.

[2] المصدر نفسه، ص119.

[3] المصدر نفسه، ص131.

[4] مالك بن نبي، فكرة الافريقية الاسيوية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر العربي المعاصر، ط3،بيروت، 2001، ص163.

عملية التثقيف هذه في تلك العملية النفسية التي تقوم في أولى مهامها بتركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد أي في بنية إنسان ما بعد الحضارة»[1].

- التربية كمفهوم:

تجد مالك بن نبي تناول فكره العديد من المصطلحات أو المفاهيم المختلفة وكانت هذه الأخيرة لها صلة أو ما نستطيع تسميته بتلك العلاقة المتداخلة مفهوم التربية عنده، رغم هذه العلاقة المتداخلة والمتكاملة لا يمكن أن نقول في ذلك أن كل مصطلح أو مفهوم يحمل في طياته نفس المعاني التي تحملها التربية، بل لكل مفهوم معاني ودلالات ذات أبعاد مختلفة، ويكون ذلك حسب السياق الكلامي والمعرفي، فالتربية عند مالك بن نبي «تستقي جذورها من المجتمع وينضج ثمارها»[2] بما يسميه مالك بن نبي (الفكرة الدينية)، حيث أنه على غرار ما ينمو ويتطور المجتمع وتكتمل مع ذلك النمو وتتضح الروابط والعلاقات الاجتماعية فالمبدأ الأخلاقي لا يتوقف عن مراعاة السلوك أو القيم والمبادئ الأخلاقية فقط، بل يتعدى ذلك إلى أبعد الحدود، فالفكرة الدينية لها أبعادها المختلفة وأهميتها القصوى في المجتمع وهي تعد ركيزة الأفراد في المجتمع الواحد ومن خلالها يتجدد البناء والتغيير ويتحضر المجتمع بما فيه، «ليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية وليست هي من إنتاج المتعالمين وبحار العلوم الذين يعرفون جمع كلمات المعاجم دون أن يسلموا بما تترجم عنه هذه الكلمات من وقائع خيرا أو شرا... بل هي وسيلة فعالة التغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن »[3].

---

[1]، العابد الميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، 2014، جامعة محمد خيضر، بسكرة ص197.

[2] المرجع نفسه، ص197.

[3] محمد بغداد باي، تربية إنسان ما بعد الحضارة "قراءة تربوية نوعية لفكر مالك بن نبي" رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم علم النفس والأرطوفونيا . 2016، جامعة وهران 2، ص134.

- التربية كعملية تعليم:

تعرف التربية في جانبها العملي فيقول «التربية هي عملية تعليم وتعلم أنماط السلوك الإنساني»[1]، أي أنها تقوم بتعليم الأفراد مختلف المهارات واكتسابهم خبرات، وتقوم كذلك بتعديل السلوك مع اختيار المنهج الصحيح الذي يسلكه أفراد المجتمع لكي ينتج لنا أفراد صالحين تربطهم علاقات الإخاء والتعاون والتكافل[2].

- التربية كمشكلة:

نجد مالك بن نبي في مختلف مؤلفاته التي جاءت بعنوان مشكلات الحضارة يركز على عامل أساسي ألا وهو الإنسان، باعتباره الهدام والبناء وصاحب التغيير، ولهذا نجد مالك بن نبي اتخذ من الإنسان محور دراسة وبحث وتحليل، لأنه يعتبر الإنسان في المجتمع الإسلامي هو المسبب وأصل المشكلات الحاصلة التي قد تحدث ولا يكون للمؤسسات الفاشلة أو النظام السياسي الفاشل له دخل في ذلك باعتبار أن فشل النظام السياسي أو المؤسسات إنما بسبب الإنسان لأنه من يتولى قيادتها. وما علينا إلا أن تبتعد بقدر المستطاع عن عوامل تؤدي إلى الركود والجمود الفكري وما في ذلك التقليد الأعمى الذي يعتبر عامل من عوامل وقوع الإنسان في أكبر مشكلات الانحطاط والفقر والتخلف وسعى دائما نحو حلول إيجابية تقودنا نحو نتائج نخرج من خلالها من أزمة التخلف هذه متجهين نحو بوادر الرقي والتقدم والتحضر: « لا نواجه تغيرا في النظام السياسي، بل أن التغير يصب الإنسان ذاته، الإنسان المتحضر الذي همته المحضرة فأعجزه فقدها من التمثيل والإبداع، وليس من الصواب أن نبحث عن النظم، بل عن العوامل الإنسانية المتمثلة في عجز الناس عن تطبيق مواهبهم الخاصة على التراث والوقت، إن التركيب الأساسي نفسه قد تحلل فتحللت معه الحياة الاجتماعية وأحلت مكانها للحياة البدائية»[3]

[1] العابد الميهوب، المرجع السابق، ص197.

[2] المرجع نفسه، ص197.

[3] مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص36.

- التربية كتنشئة اجتماعية:

إن مفهوم التربية عند مالك بين نبي ما هي إلا قيمة اجتماعية، تعمل على تحقيق التنشئة الاجتماعية وضبط السلوك وتنميته، فالتربية عنده تبدأ مع ولادة الفرد وتستمر معه ولا تنفصل عنه إلا عند وفاته، والتربية من منظورها الاجتماعي وهي في تصور مالك بن نبي تمر بمراحل البيولوجية ومرحلة الإنسان الاجتماعي حيث في هذه المرحلة يكتسب سلوكات اجتماعية لما فيها من عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية متفق عليها، وعليه يصبح عضو فعال في المجتمع ويحتل مكانة اجتماعية عالية وذلك بفضل ممارسته لأدوار اجتماعية وهنا يكتمل البناء الاجتماعي ويوضع المجتمع كل فرد من أفراده حسب لغاياته الخاصة به هذا ما قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1]رواه بخاري ومسلم .

إعتمد مالك بن نبي في بناء مشروعه التربوي على قيم ومبادئ أخلاقية وإسلامية نابعة من معايير دينية، وذلك برغبة في تقريب الصلة والعلاقة بين الله وعبده، وتقوي كذلك العلاقة التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان علاقة تقوم على العدل والتعاون والتآزر : « إن الفكرة الدينية تحدث تغيرها حتى في سمت الفرد ومظاهره، حيث تغير في نفسه، وبذلك يكون منهج التربية أثره في تحميل ملامح الفرد أي أن مجموعة من الإنعكاسات تؤدي إلى خلو صورة جديدة كأنها تتمثل في وجه جديد»[2].

تكلم مالك بن نبي في مؤلفه "ميلاد المجتمع عن مصطلح التربية الاجتماعية وكان هدفه من وضع هذا المصطلح، على أن الإنسان يستقي سلوكاته من المجتمع، فالتربية الاجتماعية تعمل على تغيير الإنسان وبالتالي يؤدي ذلك إلى تغيير المجتمع تعمل التربية الاجتماعية على كيف يندمج الإنسان في وسط المجتمع، وكيف يبني علاقاته الاجتماعية مع أفراد مجتمعه ويكتسب ثقافة مجتمعه، وبالتالي ينتج لنا أفراد متحضرين وهذا ما يؤدي إلى النهوض والبناء الحضاري حيث قال عن ذلك مالك بن نبي": « يمكن أن تكون موضوع

[1] العابد الميهوب، المرجع السابق، ص ص206-207.

[2] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص80.

التربية الاجتماعية، إذ يجب أن نغير أساسا الصفات النوعية الخاصة بالفرد، إلى صفات اجتماعية تحدد معالم الشخص)، أعني تغيير الطاقة الحيوية المنطلقة بواسطة الغرائز إلى طاقة اجتماعية خاضعة لمراقبة نظام الانعكاسات المتكونة لدى الفرد بفضل تكيفه »[1].

إن جوهر التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي هو الإنسان، باعتباره المخلوق المكرم من الله، فهو البناء والهدام في نفس الوقت، فلا يمكن للمجتمع أن يتغير إلا إذا تغير الإنسان وتربيته وفق تعاليم الدين وعلى قواعد أخلاقية إسلامية وعلى ثقافة اجتماعية يتحلى بها أفراد مجتمعه لتحقق في ذلك تواجده الاجتماعي المشترك فتحمل التربية على تغيير ذات الإنسان من فرد غرائزي إلى شخص مكيف ضمن النشاط المشترك»[2].

يعرف جون ديوي التربية كالآتي: «تتم التربية بصفة لا شعورية عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد في المجتمع، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى آخر»[3].

ويرد مالك بن نبي قواعد التربية الاجتماعية، إلى علم التاريخ وعلم الاجتماع، ولو أخذنا قواعد علم التاريخ على سبيل المثال لوجدنا قواعده ثابتة لا تتغير لا بتغيير الزمان ولا المكان، حتى وإن تغيرت المجتمعات في حد ذاتها حيث قال في ذلك: "ومنهجنا الذي اتبعناه حتى الآن يرجع بالتحديد إلى التاريخ، وذلك كي نستخرج هذه القواعد في صورتها النظرية، هذه القواعد هي ثوابت التاريخ تلك التي لا يغيرها الزمن على حين يغير المجتمعات إن نهضة مجتمع ما تتم في الظروف العامة نفسها التي تم فيها ميلاد فكرت كذلك يخضع بناؤه وإعادة هذا البناء للقانون نفسه.

ويعتمد مالك بن نبي في إقامة وبناء مشروعه التربوي الاجتماعي على نظام تربوي مأخوذ من مادة ومعايير وقيم سلوكات مكتسبة من المجتمع حيث قال عن ذلك: «لكي يمكن

[1] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المصدر السابق ، ص81.

[2] العابد الميهوب، المرجع السابق، ص276.

[3] زيرق دحمان، التربية في الفكر الإسلامي المعاصر محمد الغزالي نموذجا، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر،2016 ، بسكرة، ص14.

بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة، عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية في مستوى الفرد وفي مستوى الجميع »[1].

جعل مالك بن نبي في بناء نظامه التربوي الاجتماعي الاخلاقي على نظم دينية حيث جعل الفكرة الدينية تلك الركيزة للنهوض والرقي، فالبدين يتغير الإنسان وما يؤدي إلى تغيير المجتمع من خلال ضبط وتهذيب النفس وضبط شهوات الفرد وغرائزه وتنظيمها وفي نفس السياق الذي يذهب إليه" فرويد" أو ما يطلق عليه بالكبت، وفي هذه العملية الشرطية ليس من شأنها القضاء على الغرائز بل تتولى تنظيمها مع مقتضيات الدين، وعليه يتحرر الفرد بشكل جزئي من قانون الطبيعة المقطور عليه ويخضع وجوده في كليته إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نصه، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح.[2]

وفي الاخير نضيف ان التربية والأخلاق لا بد ان تكون هناك علاقة فيما يخص التعاون والتكافل بين المؤسسات التربوية، كالأسرة، والمدرسة، فإنه من الصعب أن يقوم فردٌ واحد بتربية أبنائه مثلًا دون تعاون مَن معه ومَن حوله على هذه المهمة، ويجب أن يكون تصور الأخلاق من خلال تصور الخير والشر على رأي واحدٍ وموقف واحدٍ من المؤسسات التربوية، ومتى ما كانت على رأيين وموقفين في هذا فستسقط البوصلة، وسيتشتت الأمر ويضيع المتربي.

والتربية التي لا تبنى على أخلاق وقيم واضحة محددة ستزيغ عن الدرب، وتفقد الهدف، ولن تؤتي ثمارها، إذ سوف يغيب العدل والإنصاف والصدق... وغير ذلك، وتحل مكانها القِيَم الهادمة التي تنخر في النظام التربوي التعليمي، وهذا ما يميز التربية الإسلامية التي تضع الأخلاق وتزِنُها وتأطرها بميزان الشرع، فلا يحصل تناقض وتضاد، أو تبديل وتحويل.

[1] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص78.

[2] العابد الميهوب، المرجع السابق، ص279.

وأخيرا إن الأخلاق تحتل مكانة مركزية في فكر مالك بن نبي، كما أنه عدها شرطا أساسيا للنهوض الحضاري وتناولها من ناحية، اجتماعية، كما لها أهمية ودور في النهوض الحضاري أما، عن علاقتها به فتمت الإشارة إليه من خلال الثقافة والسياسة والاقتصاد والتربية التي يتم من خلالها تشيد وتحقيق النهوض الحضاري فالأخلاق عنصر جوهري وشرط أساسي للثقافة والتي منها التعاون، كما أن هناك ارتباطا وثيقا بين السياسة والأخلاق وكما قال بن نبي ال السياسة بدون أخلاق ما هي ألا خراب الأمة والتي منها الحرية، كما أنها شرط أساسي لنجاح الاقتصاد، وأي نظام اقتصادي هو توجيه القوى الأخلاقي.

الفصل الثالث

نقد وتقييم الاطار الحضار ي للفكر الأخلاقي عندمالك بن نبي

المبحث الاول: نقد مالك بن نبي للبعد المادي في الحضارة الغربية، الماركسية نموذجا

المبحث الثاني: نقد وتقييم

المبحث الثالث: أقوال وأراء في مالك بن نبي

تمهيد:

إن مكانة مالك بن نبي العلمية، وما تركه لنا من رصيد فكري في مؤلفاته، ومحاضراته المدونة في الساحة الفكرية، تجعل من دراستنا لمشكلة الأخلاق في الحضارة ككل والغربية منها عند مالك بن نبي ضرورة بحثية للمهتمين بقضايا الأخلاق في المجتمعات المعاصرة اليوم، وذلك لفهم أبعاد انعكاس مشكلة الأخلاق في الحضارة الغربية على الإنسانية، وكذا دراسة مدى تأثيرها على شبكة النسيج الاجتماعي، فالصورة المطروحة اليوم حول موضوع الأخلاق في مجتمع عالم القرية الواحدة، توضح لنا مدى خطورة ما يحدث من تغيرات في سيكولوجيا المجتمعات المعاصرة، و ما أفرزته من فوضى واضطراب على مستوى الفكر والسلوك فالحضارة الغربية التي كرست لمبدأ القوة والمادة والعقل، على حساب العقيدة، والأخلاق تسببت في تعميق الفجوة بين العالم المتقدم، والعالم المتخلف، مما أدى إلى تراجع الحس الإنساني، وضمور البعد الأخلاقي، الذي قد يؤدي بالإنسانية إلى العودة لإنسان ما قبل الحضارة، بعد ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية عبر التاريخ من تقدم، ورقي في كافة المجالات، وعلى مختلف الأصعدة.

المبحث الاول: نقد مالك بن نبي للبعد المادي في الحضارة الغربية الماركسية نموذجا.

يعتبر مالك بن نبي الحضارة الغربية السائدة نابعة من أخلاق المسيحية ومبادئها مع أن المسيحية قد سبقت الإسلام بقرون فان الحضارة الإسلامية قد ازدهرت قبلها لأن الحضارة عند مالك بن نبي تولد مرتين الأولى عند ميلاد الفكرة والثانية عند انطباع الفكرة في فهم النفوس، حيث قال «أن الحضارة تولد مرتين أما الأولى فبميلاد الفكرة الدينية وأما الثانية . تسجيل هذه الفكرة في النفوس أي دخولها في أحداث التاريخ»[1] .

أ: فكرة الجدل الماركسي المادي:

يعتمد الفكر الماركسي في تفسيره الحركة التاريخ فكرة الجدل*، التي استمدها من هيجل، حيث يقصد بها التعارض الذي يتكون من قضية ونقيضها ثم يأتي الاندماج والتركيب الذي هو غاية الحركة، « وما يميز الطرح الماركسي هنا هو إعطاؤه بعدا اقتصاديا لهذه الحركية الاجتماعية في التاريخ، فميلاد المجتمع وشكل الحضارة الذي يتخذه ناشئان عن التعارض الاقتصادي».[2]

أهم ما يميز الماركسية هو اعتمادها الكلي على الجانب المادي ذو البعد الاقتصادي، وإهمال الجانب الاخلاقي، وهو ما أدى الى طيغان الجانب المادي.

ومنه تطرق مالك بن نبي في مناقشته لهاته القضية ، فإنه إنطلق من مسلمات البعد الاقتصادي لهذه الحركية ليرى حدود المجال الذي قد يصدق فيه، وبالتالي يكشف محدوديته فهو يلاحظ وبتطبيقه للمقياس الاقتصادي، أن امتداد هذه الفكرة يقع في منطقة جغرافية تشمل الجزء الشمالي من خارطة العالم الاقتصادية، «وأن التفكير الماركسي لم يجد وراء هذه الحدود المزدوجة ظروف تأقلمه، فهو بهذه الصورة لا يستطيع أن يقدم لنا تفسيراً

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، المصدر السابق، ص61.

* جورج فيلهلم فريدريك هيغل، فيلسوف مثالي ألماني، ولد غي المانية عام 1770، وتوفي في عام 1831.

[2] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق، ص22

معقولاً للمجالات التي لم ينتشر فيها على الخريطة»[1]، ويقصد مالك بن نبي هنا بهذه المجالات العالم الإسلامي خصوصا.

حيث برر مالك بن نبي هذه النقطة بمحدودية الماركسية المادية والتي تقع داخل حيز مغلق وهو العالم الغربي، حيث تعد المادة هي المحور الاساسي في الفكر الماركسي، الذي أهمل بطريقة أو اخرى الجانب الديني الاخلاقي.

لكن مالك بن نبي يرى أن هذا التفسير يظل ناقصا بالنسبة إلينا وغير قابل للتطبيق، وهو تفسير ناقص في كل الأحوال، إلا أن الماركسي لا يكتشف هذا، كونه يجد في تجربته الخاصة ما يكمله ويمنحه فاعليته " إن البرهان الماركسي صحيح، مؤكد لفاعليته في واقع الحياة العملية، لأنه مكمل في هذا الواقع بالروح الذي يحرك الأشخاص والأفكار والأشياء. [2] لذلك فالتغيير داخل شبكة العلاقات الاجتماعية إنما يعود إلى عنصر أساسي هو الروح، وهو ما ينطبق على الحالة الإسلامية، كما ينطبق على أي حالة بما فيها الحالة "الماركسية " وبهذه الطريقة نتناول التغيير في مجموعه حين نعبر عنه تعبيرا جذريا فنقول إن شبكة العلاقات الاجتماعية تغيرت فكانت هذه هي النتيجة الأولى الرئيسية لروح المجتمع.[3] وبالتالي وعلى غرار الكائن الحي الذي لا يتغير بفضل ما يقدم إليه من كميات من العناصر أو المادة، ولكن يحدث له ذلك نتيجة العلاقات الكائنة بين هذه العناصر، كذلك الأمر في الحياة الاجتماعية فإن التغيرات التي تتم فيها لا يصح أن تعزى ابتداء إلى المادة الاجتماعية أعني: الاقتصاد وكل ما يتصل بالعمل الحسي، وإنما تعزى إلى العلاقات التي تحول الشروط السابقة للظاهرة الاقتصادية ذاتها، حين توحد عناصرها في خلق حياة إنسانية منظمة من أجل الاضطلاع ببعض الوظائف الاجتماعية، في نطاق العمل المشترك الذي يصنع التاريخ.[4]

---

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع، المصدر السابق ، ص 22.

[2] المصدر نفسه، ص 35.

[3] المصدر نفسه، ص35.

[4] المصدر نفسه، ص36.

ب- الاخلاق وأهميتها عن الحاجة:

بينما كانت الرأسمالية تقوم على المنفعة كمبدأ مطلق لها، التي تتمثل كمحورها الأساسي، فإن قوام الاشتراكية والعنصر الدافع لها هو عنصر الحاجة، الذي يشكل الفكرة الدافعة في شبكة العلاقات الاجتماعية فيها.

وعليه يرفض مالك بن نبي هذا المبدأ، كقيمة تخضع لها البشرية، ويستبدلها بالفكرة الأخلاقية باعتبار أن الإنسان ليس مجرد آلة تسيرها حتمية ما، ولكنه كائن يجري نشاطه في اتجاه غاية، وهو يعطي مثالا على ذلك من خلال "علاقة الزواج باعتبارها علاقة غائية تحكمها الأخلاق"[1]، وليس الحاجة الملحة لحفظ النوع بالنسبة للبشرية التي يستطيع مجرد اللقاء الجنسي دون الزواج أن يفي بها " فالزواج مثلا يعد علاقة اجتماعية جوهرية، وهو من الناحية التاريخية أول عقدة في شبكة العلاقات التي تتيح لمجتمع معين أن يؤدي نشاطه المشترك.

ومع ذلك فمن الواضح أنه لو كان أمر الإنسانية يجري تبعاً لحاجة النوع ومنفعته فحسب، فإن مجرد الاختلاط بين الرجل والمرأة – كما كانت الحال في العصر الجاهلي – يتفق كثيرا مع القواعد البيولوجية التي يخضع لها النوع، بيد أننا نجد أن كل مجتمع معاصر، بما في ذلك المجتمعات التي تخلع على نفسها صفة المدنية، لا يتم فيها اتحاد الجنسين إلا على أساس قيمة خلقية معينة، هي الزواج، الذي يبارك إتحادهما بإشهاره طبقاً لخطة دينية أو رمزية، وبهذا الإشهار يأخذ إتحاد الرجل والمرأة معناه الاجتماعي باعتباره عقد يتفق، لا مع حاجة النوع، بل مع غاية المجتمع.[2]

وقد توقع مالك بن نبي سقوط النظام الشيوعي ورد ذلك إلى فتور العقيدة الماركسية الذي يكون من أثره شل قدرتها على تصحيح سلبياتها، والتي من أهمها إلغاء الملكية الفردية أو ما يعتبره جوهر الطاقة الإنتاجية، هذا الفتور متوقع في المجتمع الاشتراكي كما هو شأن

[1] بوراس يوسف، الفكر السياسي عند مالك بن نبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2013، ص116.

[2] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص 38.

كل المجتمعات لكن الأمر بالنسبة لهذا المجتمع يعود إلى فقدانها لعوامل الاستقرار النفسي ولا تستطيع الاستمرار إلا في حالة تغير متواصل وحركة ديناميكية مستمرة مثل المجتمعات الشيوعية السابقة التي لم تستقر أوضاعها إلا في مرح مرحلة نشوئها وتشييدها؟.[1]

يبنى الفكر الماركسي على التماهي المزدوج بين الفكر الاشتراكي الاقتصادي الاجتماعي، والفكر الاجتماعي السياسي بهدف خدمة المصالح السياسية والمجتمعية انطلاقا من منظور قوة الدولة الفاعلة، وكذا المجتمع المدني على أساس دياليكتيكي ذو التوجه نحو مركزية الاقتصاد المدعم، وهو ما جعل من ماركس ينظر بعين سلطة الدولة في القرار السياسي الاقتصادي، لأن الصراع هو صراع مادة، يضبط سياسيا بتصرف سلطة الدولة المهيمنة على الاقتصاد الاشتراكي ذو الإفرازات التاريخية التي كثيرا ما زاوجت بين النظام البورجوازي والبروليتاري وتخلت عن الدعم المؤسس للفردانية الضاربة في المجتمع الليبيرالي الرأسمالي، غير ان الفكر عند مالك بن نبي يختلف بوجود الاخلاق التي يضعها في المقام الاول داخل المجتمع.

المبحث الثاني: نقد وتقييم

من خلال دراسة بين فكر مالك بن نبي وكارل ماركس "، يمكن اعتباره استمرار للمدرسة التي وضعها مالك ابن نبي " والتي يسميها البعض بالمدرسة الحضارية، حيث حاول أن يقدم لنا تصورا واضحا عن أسباب قيام وسقوط الحضارة من خلال القيم الاخلاقية وامتزاجها بالماديات الحضارية وحاول أن يعطينا تحليلا عميقا بمثل ما أتى وجاد به.

– فالأخلاق هي الروح التي تربط جهود أفراد المجتمع في إطار موحد: "كقوة للتماسك ضرورية للأفراد في المجتمع، يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في جماعة عند الفرد، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض، حسب مالك بن نبي أما كارل ماركس إنطلاقا من نظريته الاقتصادية يعتبر بأن الأخلاق ثمرة للتحولات

[1] مالك بن نبي المسلم، في عالم الاقتصاد، المصدر السابق، ص 45.

الاقتصادية التي تحدث في حركة المجتمعات الإنسانية، وهو بذلك ينظر للنظرية الاقتصادية التي أسسها هو.

– فكر ابن مالك" وغيره من مفكري الغرب جاء ليضفي على دراسته الحضارية نوع ما من العلمية والموضوعية، والتي شملت جوانب متعددة من علم النفس والاجتماع والتاريخ و الأنثربولوجيا والاقتصاد والأخلاق والإنسان والعلم، وتأكيده على نظرية الدورة الحضارية، والتي تبناها ودافع عنها الكثير من المفكرين والمؤرخين وفلاسفة التاريخ أو الحضارة، ليس وليد الصدفة أو محل تقليد محض بل هو نابع من استقراء تاريخ المجتمعات وتطور الحضارات من جهة، واستيعاب لثقافة السنن الكونية الموجودة.

– ينطلق ابن نبي ليقول : " إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، ما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها".[1]

في القرآن الكريم من جهة ثانية. فلكي تحل مشكلة الحضارة عند أي شعب لا أن لا بد الارتقاء بفكره إلى الوقائع الإنسانية ذات الطابع العالمي، والإلمام بشروط النهضة والتحضر ومن بين أسباب التخلف والانهيار أو البناء والهدم هو اهمال الاخلاق..

– يتميز مالك بن نبي استخدامه المفاهيم العلمية في تنظيرا ته بطريقة تختلف عن رواد الدورة الحضارية الذين اقتصروا على استخدام المفاهيم التاريخية والسياسية والاقتصادية. تفسيره لمسار الحضارة يتضمن عدة أبعاد.

البعد السيكولوجي: الحديث عن الغرائز وكيفية مساهمة سلطة الروح في تهذيبها، والفعالية والتوتر والأمراض النفسية التي أصيب بها إنسان ما بعد الموحدين و دور الإرادة الحضارية في الإمكان الحضاري وغيرها.

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، المصدر السابق، ص23.

– كارل ماركس اهمال الجانب الاخلاقي في الجانب الحضاري واعتبار المادة هي الاساس في تطور المجتمع ، بينما مالك بن نبي ساير ماركس في شروط قيام الحاضرة بإدخال الجانب الاخلاقي والديني، أذ لا يمكن لقيام مجتمع بدون أخلاق.

– إن المعارك الاقتصادية عندما تدور رحاها، فهي تدور حول قطب القيم الأخلاقية، فكارل ماركس عبر عن فكره الحضاري المادي القائم على الماديات، في حين مالك بن نبي ارسى ثوابت تقوم على فكر راقي مادي اخلاقي اجتماعي سياسي ثقافي حضاري متكامل. [1]

– إن الأخلاق في قوة فاعليتها دليل مباشر عن تماسك العلاقات الاجتماعية، وغيابها ينبئ بخطر يهدد المجتمعات الإنسانية، ودليل مباشر عن تفسخ المجتمع وتحلله، وبعد بن نبي القوانين التي احدثتها الحضارة الغربية[2] ماهي إلا تطبيق لهذه التعاليم: بل إن جميع التعاليم المقدسة التي دانت لها الإنسانية العذراء وجميع المبادئ الأخلاقية التي اتخذتها الإنسانية المتحضرة، ليست إلا تطبيقا متنوعا لتعاليم أخلاقية مشتركة، يختلف التطبيق فيها تبعا لتعاقب ظروف التاريخ الإنساني، والهدف الأساسي لهذه التعاليم هو الدفاع عن شبكة العلاقات الاجتماعية التي يقوم عليها، إنها تعني بلا شك أشياء كثيرة، ولكن أهم هذه ا الأشياء هو الإقلال من الآثار الطردية في ميول الأفراد الذين يكونون المجتمع وكلمات مثل: تصدق ... أحبب أخاك كما تحب نفسك احترم الوعد الذي تبذله، ماذا تقصد بها؟ أشياء كثيرة ولاشك، ولكن أهميتها جميعا هو الإكثار من الآثار الجانبية في الميول الجماعية التي توحد الأفراد في مجتمع"[3] ، فالأخلاق أو الفلسفة الأخلاقية هي أول المقومات التي تساعدنا في الخطة التربوية لصناعة . مجتمع متحضر.

– يرى ابن نبي أن الأخلاق هي أحد أهم الأسباب التي يتحدد من خلال فاعليتها استمرار الحضارة أو زوالها، فاستمرار الحضارة أو اندثارها مرهون بهذا العنصر قائلا : "قدورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال، إذ تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة، أو عندما

[1] مالك بن نبي ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص95.

[2] المصدر نفسه، ص95.

[3] المصدر نفسه، ص96.

يدخل التاريخ مبدأ أخلاقيا معينا على حد قول (كسير لنج)، كما أنها تنتهي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها الغرائز المكتوبة أو المكبوحة الجماح مالك.[1]

– وقد اهتم ابن نبي بدراسة سبب ضعف تأثير الأخلاق وفاعليتها في المجتمعات التارخية، من خلال دراسة العامل الزمني، باعتباره عنصرا مهنا يتداخل مع المتغيرات التي تحدث في المجتمعات أثناء دورة الحضارة فيرى: أن التطبيق يختلف فيها تبعاً لتعاقب ظروف التاريخ الإنساني، والهدف الأساسي لهذه التعاليم هو الدفاع عن شبكة العلاقات الاجتماعية التي يقوم عليها كل مجتمع، كما يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ، وليست القوانين الحديثة سوى تطبيقا لهذه التعاليم في حالات خاصة، ناشئة عن الحياة، وعن التجربة الخاصة لمجتمع يؤدي نشاطه المشترك في مستوى قومي وعالمي معا"[2] .

إن الأخلاق هي من تضعنا على طريق الحضارة، وهي التي تعلمنا فن الحياة مع أقراننا، مبرزا ضرورة الانتباه للتطور التاريخي في تغير القيم الأخلاقية، فالزمن يؤثر بشكل مستمر على البناء الأخلاقي الاجتماعي بالتناقص، كلما حاد المجتمع عن ترسيخ هذه القيم الخلفية وتناساها فيقول: كلما واصل التاريخ سيره، واصل التطور عمله في نفسية الفرد، وفي البناء الأخلاقي للمجتمع الذي يكف عن تعديل سلوك الأفراد، وبقدر ما تتحرر هذه النزعة من قيودها في المجتمع، ينكمش التحرر الأخلاقي في أفعال الفرد شيئا فشيئا" [3]

– أثر النزعة الآلية – المادية على الأخلاق لقد أبدعت الذات الغربية الآلات التي لم تستطع السيطرة عليها، حيث قادتها بعقل آلي، فصارت الحياة أرقاماً، وأضحت السعادة مقيسة بقدر ما لديها من وحدات حرارية وهرمونات وصار العصر عصر (كم) يخضع الضمير فيه للنزعة الكمية، كما صار عصر النسبية الأخلاقية، فلم يعد أحد يدرك معنى الفضيلة المطلقة، بل إن الكلمة نفسها قد أضحت من المعميات، وأضحت كلمة ميتة لا معنى لها، لأن القرن العشرين، وهو قرن العقل الوضعي الذي يشبه عقل الآلة، لم يعد يفهم شيئاً

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة، المصدر السابق، ص70.

[2] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع، ص95.

[3] المصدر نفسه، ص111.

وراء التصورات النسبية للمادة[1].

ويستنتج مالك من ذلك، أن أوروبا النازعة إلى «الكم»، وإلى «النسبية»، قد قتلت عدداً كبيراً من المفاهيم الأخلاقية، حين جردتها من معانيها النبيلة، وأحالتها.

– إذ اصبحت الاخلاق حسب مالك بن نبي ضروباً من الكلمات المنبوذة في اللغة طريدة الاستعمال من الضمير، وقد تعاظم خطر تلك النزعة الكمية في أوروبا طبقاً للعامل المضاعف المتمثل في النزعة الفنية، والذي تملكه صناعة غزت العالم، كأنها اخطبوط، يضاعف بصورة هائلة شهية الإنسان إلى المادة، وأصبح الرقم سلطاناً في المجتمع الغني الآلي الذي قام بأوروبا منذ القرن التاسع عشر، وصار الإحصاء لا معقب لحكمه، فليس للفطرة الإنسانية «أي للضمير الإنساني ذاته دخل في الحياة الجديدة، وبذلك أصبحت حياة الإنسان مجرد وظيفة تكمل الأرقام والماكينات هي التي تحسب، وتسخر الإنسان للانخراط في حركة أجهزتها ، أما الحاجات الإنسانية العامة، وبخاصة حاجات الأرملة واليتيم والشيوخ والمرضى فهي ليست مريحة، لأن الماكينات لا تعرف الحساب الأخلاقي»[2]

– اختلاف الرؤية:

–مالك بن نبي تناول الحضارة والاخلاق بمنهج علمي بحكم تخصصه حيث كان يصنف القضايا و ينظمها في صيغ علمية.

أما ماركس فكان يعتمد على الشواهد التاريخية و يلجأ إلى الإحصائيات في رصد القضايا التي تعالج الإنسان.

–رؤيتهما للحضارة رؤية تطور وتقدم، يتجلى ذلك في مفهوم الفاعلية عند مالك، و تذمر ماركس من الجمود.

–اعتمد مالك في دراسة آفة التخلف في العالم الإسلامي على العقيدة (أي من القرآن و السنة) و قد وجدها تكمن في المحتوى الداخلي للإنسان المسلم.

[1] مالك بن نبي ،واجهة العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص117.

[2] مالك بن نبي، واجهة العالم الاسلامي، ص118.

-أما كارل ماركس فقد اعتمد على الرؤية الفلسفية في تحليل ظاهرة التخلف إلى جانب احتكامه على الشواهد التاريخية.

-الحضارة بمنظور مالك ثمرة الثقافة وتسربات المجتمع، حيث الأساس الفكري و الروحي هو الذي يبنى عليه الوجه المادي.

الذات هي أساس الحضارة والحضارة تبنى بسواعد أبنائها، و لا يمكن استيرادها، حيث التنمية لا تشترى وكارل ماركس هو الآخر يشاطر مالك في هذه النقطة.

كل من مالك و كارل ماركس اطلعا على الحضارتين الغربية والإسلامية ، لذلك جاء نقدهما للحضارتين موضوعياً.

المبحث الثالث: أقوال وأراء في مالك بن نبي :

أ- آراء وأقوال حول مالك بن نبي.

تعتبر سيرة مالك بن نبي حافلة وثرية من العديد من الجوانب، وهو ما أدي الى الاعتراف بشهادات خالدة لعلماء ومفكرين ومثقفين وباحثين، حيث قدم مالك بن نبي نماذج كثيرة لرقي وتطور المجتمعات منها الاخلاق والحضارة و والدين والسياسية ...الخ.

إذ يقول الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر[1]" في مقدمة كتاب في مهب المعركة المالك بن نبي: لعلي لا أبالغ إذا قلت: إن هذه المجموعة من مقالات أخي الأستاذ مالكه بن نبي، هي عندي من قفل، ما كتب، لأنها تكشف لنا عن فكر رجل خبير، فكر في الأمور ساعة بعد ساعة، وقيد هذا الفكر في حينه، فإذا نحن نرى أنفسنا في ضوء ما كتب قديما، كأننا لم نتقدم خطوة في فهم البلاء الذي ينزل بنا ولا يزال ينزل... فهذا المفكر الخبير قد استطاع بحسن إدراكه وبقوة بينه وبدقة ملاحظته، أن يفتح عيوننا على الخيوط التي تنسج منها حياتنا تحت ظلام دامس قد أطلقه المستعمر ليخفي عنا مكره بنا وخداعه لنا[2]: يقول

[1] محمود محمد شاكر : ولد عام 1910م وتوفي عام 1997 م عالمًا باللغة العربية له العديد من الكتب والمقالات منها(كتاب المتنبي وكتاب أباطيل وأسمار) وله مقالات متعددة منها مقال بعنوان لا تسبوا أصحابي، انظر : شبكة المعلومات الدولية إنترنت مقال بعنوان الشيخ محمود شاكر كاتبه أحمد تمام بتاريخ 2004/02/27.

[2] مالك بن نبي مقدمة كتاب وجهة العالم الإسلامي وقام بترجمته عبد الصبور شاهين نشر دار الفكر ط عام 1945 م، ص 11.

الأستاذ محمد المبارك[1] في: مقدمة كتاب وجهة العالم الإسلامي المالك بن نبي:" إن هذا الكتاب يكشف في مالك بن نبي عن مفكر كبير احتل بسرعة فائقة مكانه اللائق في طليعة العالم العربي الإسلامي... وهو في مجموع أثاره ليس مفكراً كبيراً صاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب، بل داعياً مؤمناً يجمع بين الفيلسوف المفكر ومنطقه، وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعور ... فنا لا أقول إنه لابن نبي ولكني أقول أنه ينهل من نفحات النبوة وينابيع الحقيقة الخالدة.[2]

ويقول الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخالدي في مقدمة كتاب شروط النهضة لما لله ابن نبي: " وابن نبي في الواقع ليس كاتباً محترفاً، أو عاملاً في مكتب مكباً . على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة، بمعنى الإنسان في صورتيه الخلفية والاجتماعية، وتكوين المؤلف كمهندس قد ساعده دون شك في التصوير الفني للأشياء ولكن ثقافته المزدوجة تسمح له بأن يصل هذا التصور بالخطة الإنسانية".[3]

ويقول فيه الدكتور مصطفى السباعي[4]:" الأستاذ مالك جزائري الأصل، مجاهد في سبيل القضية الجزائرية بقلمه ولسانه، جهاداً يعرف له فضله فيه زعماء حركة التحرير الجزائرية منذ نشوئها ... ويتميز الأستاذ مالك بن نبي في جميع مؤلفاته بحق التفكير ومنطقيته، وواقعيته، وقوة أسلوبه في الدفاع عن الأفكار التي يتبناها ... وقد استطاع مالك بأسلوبه الذي تفرد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية، أن يوجه إليه

---

[1] محمد المبارك : ولد في مدينة دمشق في سوريا، عام 1912م وتوفى في المدينة المنورة بالسعودية عام 1981 م عمل عميدًا لكلية الشريعة بجامعة دمشق وعين بعد ذلك رئيس قسم الشريعة في كلية الشريعة بمكة وعين بعد ذلك مستشارًا في جامعة الملك عبد العزيز له العديد من المؤلفات اليها : كتاب نظام الإسلام المقيدة والسياسة ونظام الإسلام السياسي وكتاب المقيدة في القرآن الكريم العلم : شبكة المولات الدولية المرس ashaqalarabi.org.

[2] مالك بن نبي، مقدمة كتاب وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص 11.

[3] مالك بن نبي، شروط النهضة: ترجمة عبد الصبور شاهينط1، دار الفكر، دمشق، عام1960م. ص8.

[4]مصطفى حسني السباعي : ولد عام 1915 م في مدينة حمص بسوريا، وتوفى عام 1964 م، قاد المقومة المسلمة ضد الفرنسيين في عام 1945 م وشارك في عام1948 م في الجهاد ضد اليهود في فلسطين في مدينة القدس الشريف كان عالمًا جلي لا له الكثير من المؤلفات منها أحكام الصيام وفلسفته وأخلاقنا الاجتماعية والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي والمرأة بين الفقه والقانون اشتراكية الإسلامية، انظر : الموسوعة الحركية في تراجم إسلامية فتحي يكن مؤسسة الرسالة ط 1980 مص 141.

أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة، وسلامة التفكير، وبدأ يرى في الأستاذ مالك بن نبي رائده الفكري البعيد النظر القوي الإيمان المناضل بقلمه، في سبيل الله والإسلام.[1]

كما كان مالك بن نبي يملك شخصية أخلاقية ملتزمة بالسلوك الإسلامي، ظلّ يذكر دائما الدّور التربوي الذي تركته في نفسه، وسلوكه جدّته لأمّه حين أخذت بيده طفلا إلى عالم الخير، والقيم الإسلامية، ويذكر من عايشه في القاهرة أنّه كان يميل إلى البساطة في العيش لا يهتم كثيرا بمأكله، وكان حسن المعشر يحترم الصداقة، ويهتم كثيرا بضيوفه، كما كان ميالا للجمال محبا للنّظافة، والنّظام، ويقر بالفضل في ذلك لزوجته الفرنسية، كما تميّز في حياته بعلو الهمّة، فقد واجه صعابا كثيرة سواء في الجزائر، أم في فرنسا، وعانى كثيرا في البحث عن عمل، ولم يضعف، ولم يذعن، ولم يستسلم، وظل صابرا متجلدا طويل النفس، ولعلّ نشأته في أسرة متدينة، ومكافحة ضد الاستعمار صنعت منه هذه الصفات، فجدّه هاجر إلى ليبيا أنفة من الخضوع إلى الاستعمار، «وكان جدي وجدتي يتشبثان برصيدهما التاريخي الأصيل، بتلك التقاليد، وبهذه الروح استطاعت البلاد أن تعود لصياغة تاريخها من جديد»[2].

فعن تدينه الشديد في حياته العملية، والتي هي انعكاس لتصوراته الذهنية يقول أ.د. سيد دسوقي حسن : "... وفي (شاهد القرن) يحكي قصة جيدة يقول فيها: إنه عاد يوما إلى بيته في باريس وبدأ في تصفح الجريدة اليومية، ويا لهول ما وجد... شتما وإهانة في حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا هتز الأرض، فإذا بالأرض تهتز فظن مالك بن نبي أن ذلك تصور منه وتخيل لكنه في اليوم التالي قرأ أنها هزة أرضية حدثت في نفس

[1] مجلة المسليون دمشق المجلد السادس العدد العاشر جمادي الأول – شعبان1379هـ، ص 67 نقلا عن كتاب مالك بن نبي مفكرًا إصلاحيًا، أسعد السحمراني، ص21.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المصدر السابق، ص20.

الوقت الذي أحس فيه مالك بن نبي، هذا هو مالك بن نبي المفكر العميق والمؤمن العظيم هذه إطلالة سريعة على فكره ومواقفه الإيمانية[1].

وعن طبيعة فهمه للإسلام يقول المحامي والوزير: عمر مسقاوي، وهو صديقه وكان على رأس تلامذته: "الأستاذ مالك بن نبي يطرح الإسلام كملهم لقيمنا، وقادر على استعادة دور الإنسان مبرا من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية.[2]

كما نجد المفكر والباحث والداعية الأستاذ أنور الجندي يقول مشيدا بمالك بن نبي، وبدقة منهجه ومميزا له عن غيره، ومبرزا تعدد مصادر فكره وطرحه الإسلامي المتميز :"مالك بن نبي يختلف عن الدعاة والمفكرين والكتاب، فهو فيلسوف أصيل له طابع عالم الاجتماع الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان والرومان والمسيحية".[3]

كما يقول عنه الأستاذ محمد المبارك مبرزا طبيعة توجهه ومزاوجته بين الثقافتين الإسلامية والغربية :"إنه عربي مسلم ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء، وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سببا في تحرره من نفوذها، ومعرفته لمصادرها ولدوافعها الخفية وبواعثها العميقة، ولاسيما أنه جمع إلى جانب الثقافة العلمية ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء، عميقة الأغوار، كما تدل عليه آثاره ومؤلفاته العديدة التي قرأناها ... لقد تجمعت في قلبه ونفسه في عاطفته وشعوره، في عقله وتفكيره، مآسي أولئك الملايين من البشر، الذين يعيشون على أرض الجزائر ضحايا لمدنية القرن العشرين وأمثلة بارزة لانحطاط أهدافها وغاياتها.[4]

---

[1] محمد الفرحان ، نداء خليل، حضور الفلسفة الغربية في الفكر العربي المعاصر (مالك بن نبي نموذجا)، مجلة اوراق فلسفية جديدة ، العدد الثالث،2011، ص71.

[2] عمر كامل مسقاوي، نظرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي، المرجع السابق. ص 26.

[3] أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية ،القاهرة،ط1، 1965، ص64.

[4] أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، المرجع السابق، ص23.

واما تلميذه الجزائري البروفيسور " محمد السعيد مولاي" فيسجل في موقفه من مالك بن نبي ريادته في تناول موضوعات الحضارة ، وشمولية منظوره للمشكلات ، وكذا تعدد مصادر فكره فيقول " على العموم يعتبر مالك بن نبي من أوائل المحدثين في معالجة مشكلات الحضارة بمنهجية علمية دقيقة ، وهو على وجه الخصوص أول المفكرين المسلمين ممن غاصوا حدثيا في أعماق الحضارتين الغربية والاسلامية، بحثا عن اسباب التخلف وشروط النهضة من جهة ومقارنة بين المفاهيم الغربية والاسلامية كالديمقراطية والاسلام والأصالة والمعاصرة ...من جهة أخرى ، مالك بن نبي مدرسة فكرية أساب كثيرة ، منها أن فكرة يجمع بين العلوم التقليدية والعلوم المعاصرة ، والمسلم الحديث سواء كان ملما بعلوم الشريعة او علوم الطبيعة ، بحاجة الى مثل هذا التفكير المتوازن، والشامل".[1]

ويقول عنه المفكر والداعية الإسلامي جودت سعيد الذي تتلمذ على فكره، وتأثر خصوصا بمنهجيته في تناول الموضوعات عن فكره وتوجه: " إن مالك بن نبي ثروة وثورة فكرية لم يفطن المسلمون لها، لأنهم لم يتعودوا على هذه الأفكار والمصطلحات، لقد بذر المرحوم مالك بن نبي بذور هذا الفكر الجديد، فكر تحمل المسؤولية، وأداء الواجب، والارتقاء في الأسباب في ساحة الفكر الإسلامي ولابد لهذه البذور من أن تكبر وتثمر ولو بعد حين".[2] وحول أهمية فكر مالك بن نبي والمستوى الذي بلغه والقيمة التي يحملها يمكن أن نورد المقولة السابقة للدكتور طه جابر العلواني التي يقول فيها لو قدر لمالك ابن نبي أن يكون هو المحتوى الفكري المنهجي والثقافي الذي يشكل عقلية الصحوة الإسلامية أو الحركة الإسلامية المعاصرة، لكانت هذه الصحوة اليوم في موقع القيادة لهذه الأمة، ولكن مالك بن نبي كان يطلق أفكاره، فيقبل عليها من يقبل ويعرض عنها من يعرض من المؤسف أن مختلف البرامج الثقافية للحركة الإسلامية قد أهملت فكر مالك بن نبي ولم تعطه من

[1] مسعودان نور الدين، مالك بن نبي (حياة وآثار شهادات ومواقف)، دار النون للنشروالتوزيع، بدون تاريخ، ط1، ص 61، 62

[2] المرجع نفسه، ص51.

الاهتمام ما يستحقه وما هو جدير به، ولم يلتفت بشكل مناسب إلى أهميته البالغة، وحاجة الأمة إلى تحويل هذه الأفكار إلى واقع معاش[1]".

ولما سبق فإن مالك بن نبي كان دوما محل إشادة وتنويه من قبل التيار العروبي والإسلامي خاصة، ومن قبل كل مفكر موضوعي يدرس فكره من منطلق البحث عن الحقيقة، دون خلفية أيديولوجية أو عقدة نقص.

هذه السّمات البارزة في شخصية هذا المفكر وبعض الشهادات حوله سمات جعلت منه مصلحا اجتماعيا ألمّ بالعديد من جوانب المجتمع الإسلامي، وحلّلها، ووصف لها الحلول النّاجعة، وما كان ليقوم بذلك إلاّ لأنه كان يشعر بأنّه جزء من هذا المجتمع وعليه واجب اتّجاهه.

ب- أهم الانتقادات التي تعرض لها مالك بن نبي:

يبدو أن التحامل على فكر مالك بن نبي، إنما هو تحامل في غير موضعه وتغلب عليه الردود العاطفية لا غير، ولنا الأمثلة الكثيرة التي تبين أن ما كُتب عن فكر مالك بن نبي من انتقادات لم يرقى إلى مستوى التجاوز الموضوعي، ولا أدل على ذلك في نظرنا من أن الفكر الإسلامي المعاصر لم يرقى بعد إلى إنتاج مشروع فكري حضاري بتلك الجدية في التحليل والموضوعية في الطرح التي قدمها مالك بن نبي في معالجة المشكلة الحضارية عامة والمشكلة الحضارية في العالم الإسلامي خاصة سنحاول التطرق الى اهم النقاط التي تعرض لها مالك بن نبي للانتقاد.

في نظر الباحث عبد القادر بوعرفة فإن "مالك بن نبي يتميز بنزعة إنسانية عالمية رفعته إلى مصاف الإنسانية من ذلك أنه يستعمل مصطلح الأخر L'autre في حديثه عن الغربي الأوروبي، حيث تدل هذه لإزاحة المفهومية على احترام الخصم رغم كونه يمثل الجانب الشرير في حياته وثقافته في كثير من المواقف وخاصة إذا تعلق الأمر بالصراع الفكري وصانعيه"[2]، فإن الفكر الحضاري عند مالك بن نبي ليس مجرد تنظير للقيم والمبادئ

[1] طه جابر العلواني، مالك بن نبي وحركة التجديد الحضاري الشروق الثقافي العدد، ص 24.

[2] عبد القادر بوعرفة ، الحضارة ومكر التاريخ تأملات في فكر مالك بن نبي ، دار رياض العلوم ،ط1، الجزائر، ص29

الحضارية وفقط، وإنما هو مشروع متكامل ذي أهداف ومقاصد إنسانية، ذلك أنه لم يسفه الحضارة الغربية بالمطلقية والشمول وإنما حاول في الكثير من الأحيان أن يبين كيف ساهمت في توجيه القيم والأخلاق الإنسانية نحو الفعالية الحضارية.

لكن هذا لا يعني معه بأن النهوض الحضاري الذي يدعوه يغلب عليه البعد التمدني، بل هو تغيير جذري شامل يراعي أهمية القيم والمبادئ التراثية لاسيما وأنه يؤلف بين مصدرين أساسيين في دراسته التاريخية للحضارات واقتراحه للحول اللازمة من أجل النهوض بها، وهما الأصالة الإسلامية والفعالية الغربية، إذ بالرغم من أن مالك بن نبي تأثر بالحضارة الغربية التي عاش فيها إلا أنه لم يغترب أو يذوب فيها، بل أنه في الكثير من الأحيان وقف على أخطائها في المجال العالمي الإنساني والإسلامي لأوضاعهما الراهنة من أجل التقارب الحضاري، وذلك بأن يتخلى العالم الغربي عن أطماعه الإيديولوجية وسيطرته الحضارية، وأن يتجاوز العالم الإسلامي كبوته الحضارية بما تبقي لديه من عالمه الثقافي الأصيل، وهذا يقتضي أن يقدم العالم الإسلامي للغرب الجانب الروحي المتمثل في القيم والمبادئ الإسلامية، ولذلك قدم مالك بن نبي دعائم مشروع حضاري بأكمله يستند على المبادئ الإسلامية الأولى التي تم بها بروز الحضارة الإسلامية إلى العالم، ولكن هذا ليس من خلال العمل على التقليد والإتباع السطحي الساذج للماضي التراثي، وإنما يجب أن تكون أطراف المعادلة الحضارية التي يجب أن يستعيدها العالم الإسلامي المعاصر متكافئة مع المتطلبات الإنسانية التي يحتاجها الإنسان المسلم أي لا بد من مراعاة شرطين أساسيين أولهما استعادة روح مبادئ التغيير من الدين الإسلامي، وثانيهما ضمان تفعيل هذه المبادئ في الواقع النفسي والاجتماعي وسياسية وغيرها، وكما يرى الباحث الطيب برغوث أن "الثقافة التجزيئية في التعامل مع الوحي والواقع والتراث والمستقبل همشت هذه الأفكار الجنينية الهامة وحرمتها من النمو واستكمال نضجها وإفادة الأمة بها، في وقت هي أشد ما تكون احتياجا ها ، وبهذا

وقع لفكر مالك بن نبي ما وقع لابن خلدون قبله عندما لفه ليل التخلف الحضاري ولم تكن ظروف الأمة لتساعده على النمو والتبلور والنضج والتمثل في واقع الأمة[1].

فقد تم التحامل على فكره ورفضه وفي بعض الأحيان تسفيهه من دون العمل على مناقشته أو تصويبه، وفي أحيان أخرى الحكم عليه بالسطحية والسهولة دون فهم مقاصده الحقيقية فهل فهمنا فكر مالك بن نبي حقا؟

يستعرض الباحث عبد اللطيف عبادة في هذا الصدد عدة أسباب حالت دون فهمنا لفكر مالك بن نبي من بينها "تحامل بعض السياسيين على فكره وحكم بعض الحركات الإسلامية على فكره بالاشتراكية ونفوذ بذور الإيديولوجيات المعاصرة في تكوينه"[2] ولعل تحامل السياسيين على فكره يعود ولاشك إلى نقده لبعض زعماء الإصلاح السياسي في الجزائري، الذين انتهجوا في نظره إصلاحات سياسية لا تتلاءم مع التطلعات السياسية الواجبة آنذاك، إذ "كانت أفكاره جزاء من الخلافات الاجتماعية والسياسية الحاصلة في الجزائر والعالم العربي والإسلامي التي عاشت هذه الهواجس، بل أن وفاته كانت ربما جزاء من هذه المأساة[3]، والمتتبع لأفكار مالك بن لكن المتتبع للمشروع الفكري عند محمد أركون يجد أنه أكثر غموضا وإبهاما من فكر مالك بن نبي ذاته، فمؤلفات محمد أركون تشعرنا في الكثير من الأحيان من شدة تعقدها أنها لا تملك ذلك التأثير الذي فرضته مؤلفات مالك بن نبي لأن عقد مقارنة بسيطة بين مؤلف "الظاهرة القرآنية" لمالك بن نبي ومؤلف "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني" " لمحمد أركون "، يبين أن"فكر مالك بن نبي أقرب إلى التأثير في الواقع النفسي والاجتماعي للإنسان العربي والمسلم من حيث شحذ الفعالية والقدرة على التغيير الحضاري"[4]، فما الفائدة من الكتابة في موضوعات تخص

[1] برغوث الطيب، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري لمالك بن نبي ، 2004، ص.13

[2] عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 2006، ص39.

[3] مسقاوي عمر كامل، المصطلحات الرئيسية، في فكر مالك بن نبي، مجلة مطارحات، العدد20، 2003، ص94

[4] أركون محمد، القرآن في التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، دار الطليعة، ط2، بيروت ، لبنان، 2005، ص173.

المجال الثقافي والحضاري في العالم العربي والإسلامي، يقول رومان رولان "لا يكفي أن تبدع أفكارا يجب أن تؤمن لها الحياة وهنا تكمن المسألة كلها" [1]

لا يمكن أبدا إنكار قدرة أفكار مالك بن نبي على دفع عجلة التقدم الحضاري في العالم العربي والإسلامي ولو على مستوى التغيير النفسي وتحديد شروط النهوض الحضاري من جديد وكما يقول الباحث أبو القاسم حاج حمد في أقر أن "جهود مالك بن نبي عن قوانين التغيير واته في بعد تجريدي نظري"[2] ، لكن الأمر عكس ذلك تماما، ففكر مالك بن نبي ركز على أهمية المبادئ من حيث رفعتها في المجال العملي، إذ لا رفعة للمبادئ ما لم تتجسد واقعا سلوكيا عمليا من شأنه أن يغير نفسية الفرد وحالة المجتمع إلى الحركة في التاريخ وبالت فإن جهود مالك بن نبي على العكس تماما مما يعتقد الباحث عزيز المدرس ليست بحاجة إلى وضع أسس جديدة لتفسير التاريخ وفق تصوراتنا ومرتكزاتنا الحضارية، لأن ما كان يتطلبه الواقع الحضاري الذي عايشه مالك بن نبي ليس هو وضع مبادئ وقوانين مطلقة، بقدر ما هو إيجاد التشخيص الأمثل لحالة الانحطاط الحضاري الذي انتهي العالم الإسلامي ومن ثم إيجاد الحلول والمقترحات اللازمة لتجديد الوعي الحضاري من خلال بث رفعة المبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية في عهدها الأول في الواقع النفسي والاجتماعي للعالم الإسلامي آنذاك، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو إلى أي مدى كانت مبادئ التغيير الحضاري أمرا ناجزا في الواقع النفسي والاجتماعي للعالم الإسلامي آنذاك، وفق الوجهة الحضارية التي حددها ومن التحليلات الصائبة هنا ما يراه الباحث أبو يعرب المرزوقي في أن "المبدأ الذي يحكم القيم الحضارية ويشحذ همم التغيير التي أنتجتها الحضارة الإسلامية، هو ختم الأنبياء وإلغاء سلطان "الأوصياء"[3]، ويظهر هذا جليا من خلال انتهاء عهد الوصاية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إذ لا يحق لأحد

[1] مالك بن نبي، من أجل التغيير ، دار الفكر المعاصر، ط6 ، 2008، ص42

[3] المدرس عزيز، الرؤية الآن ، دراسة تحليلية لعملية التغيير الحضاري وللواقع السياسي المعاصر، دار افكر الثقافي ، الأردن، 2005 ، ص55

[3] رضوان جودة، سؤال التجديد في الخطاب الاسلامي المعاصر، دار المدار الاسلامي، ط1، بن غازي، ليبيا، 2005، ص118-119.

بعده أن يدعي الوصاية الإلهية على المسلمين وأن يتخذها سلطانا في يده يوجه به الآخرين الوجهة التغييرية التي شاء، لأن هذا الأمر يكبل دافعية المسلمين ويجعلهم في حالة ركود وسكون مما يفقدهم الثقة في أنفسهم ويكسر فيها عزائم التغيير ويدعها عرضة للإنكار، والمتتبع لمسار الفكر الإسلامي المعاصر يجد بأن هناك الكثير من المشاريع والأفكار التي نصبت نفسها وصية على الأمة الإسلامية ورأت أن الحل يكمن في تبني إيديولوجية معينة دون غيرها.

خاتمة

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة، نجد أنفسنا نستنتج أن فكر مالك بن نبي لا يزال حاضرا وحيا، ويثير المزيد من النقاش حوله شرقا وغربا لما يتميز به من عمق ودقة في المنهج الفكري. ولقد استطاع مالك بن نبي أن يتناول أهم الإشكاليات اليوم وهي الاخلاق ودورها الحضاري، وتحديد مسارها انطلاقا من مبررات حضارية واضحة، بروح نقدية واقعية بعيدا عن التأسيس النظري المجرد. ولهذا كانت رؤيته للتوجيه الأخلاقي للحضارة منسجما مع هذا التوجه، لا سيما وأنه درس الغرب في أسسه الحضارية واستوعب عناصره.

وقد أكد على دور الغرب الفعال وإسهامه في العلم، كما أنه حذر من تهميش عامل الأخلاق، وأسهب في إبراز الشروط التي تمكن المسلمين من العودة إلى أزهى عصورهم، وإن الآفاق الرئيسية التي تفتحها هذه الدراسة، هي ضرورة إثراء النقاش البنّاء المتصل بدور الاخلاق وأسسه الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، ومع كل الأقوال المنوهة بهذا المفكر، فإن قيمته العلمية الحقيقية مازالت في حاجة إلى كشف وبيان.

ورأينا أن للأخلاق مكانة خاصة في العمل الحضاري عند مالك بن نبي، الذي يؤمن بفعالية الفكرة وتجسيدها على أرض الواقع، وهنا نخلص من هذه الدراسة إلى عدة نتائج:

- بين الحضارة والأخلاق علاقة وطيدة، حيث تعتبر الأخلاق أبرز ركائز الحضارة.
- أثرى مالك بن نبي الساحة الثقافية الإسلامية المعاصرة بإنتاجه الفكري المتميز.
- أنتهج أسلوب فريد من نوعه في معالجة القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية من خلال الاخلاق ودروها الفعلي في رق المجتمعات.
- تعد مؤلفاته مالك بن نبي مكسبا حيويا كبيرا لحركة البناء الحضاري الجديد للأمة وكتاباته أحاطت بشخصية الشعب الجزائري والعالم الثالث الذي كان وما زال خارج إطار الحضارة الحديثة.
- تحتل الأخلاق مكانة مركزية في فكر مالك بن نبي.
- أن للأخلاق مكانة خاصة عند مالك بن نبي لارتباطها بالحضارة، حيث تبدأ بمرحلة الروح التي يكون العمل فيها خالصا الله تعالى، حيث يسود التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

– تعتبر الأخلاق منتج من منتجات الحضارة ومكوناتها إذ تشتمل على جانبين مادي ومعنوي والذي تندرج تحته الأخلاق.

– الفكرة الدينية مصدر للأخلاق التي تعد شرطا لفاعليتها.

– الأخلاق من الأسباب الأساسية والمهمة لتحقيق النهوض الحضاري بحيث لو فقدت فقد معنى النهوض الحضاري .

– للأخلاق دور محوري في النهوض الحضاري وتلعب دورا كبيرا في حركة الأمم وتعوضها وتدخل في مختلف نظم الحياة.

المراجع

والمصادر

1.القرآن الكريم

2. المصادر.

1. مالك بن نبي ، انتاج المستشرقين، دار الارشاد للطباعة والنشر، بيروت، 1971م.
2. مالك بن نبي ، شاهد القرن ترجمة : القنواتي مروان دار الفكر، ط1، بيروت لبنان، (د.س).
3. مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين ، نشر دار الفكر ط عام 1954م.
4. مالك بن نبي ،آفاق جزائرية، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط.ت.
5. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين ط1، عام 1984م.
6. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع : ترجمة عبدالصبور شاهين دار الفكر، دمشق عام 1974 م.
7. مالك بن نبي، آفاق جزائرية، مالك بن نبي، آفاق جزائرية، تر: الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، بد ط، 1991.
8. مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر للنشر، 1960م.
9. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، دار القرآن الكريم للنشر السالمية، الكويت، 1398هـ-1978م
10. مالك بن نبي، الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دارالفكر،1981م.
11. مالك بن نبي، القضايا الكبرى، تر: عمر مسقاوي والطيب الشريف، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1991.
12. مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد: ط دار الفكر، دمشق، ط عام 1979م.
13. مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1978.
14. مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

15. مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، دار الفكر، ط2 ، بيروت، 1977م .

16. مالك بن نبي، شروط النهضة: ترجمة عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، عام1960م.

17. مالك بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي، تر: الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

18. مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر المطبعة العلمية، دمشق، 1981.

19. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988.

20. مالك بن نبي، من أجل التغيير ، دار الفكر المعاصر، ط6 ، 2008.

3. المراجع.

21. ابن مسكويه ، تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم، مكتبة الحياة للطباعة و النشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1982.

22. أركون محمد، القرآن في التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، دار الطليعة، ط2، بيروت ، لبنان، 2005.

23. أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، مطبعة دار النفائس، ط3، د.س.

24. أنور الجندي، أعلام القرن الرابع الهجري، مكتبة الانجلو مصرية، (د.ط)، (د.س).

25. أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية ،القاهرة،ط1، 1965،

26. ايمان عبد المؤمن سعد الدين، الأخلاق في الاسلام " النظرية والتطبيق"،ط1، الرياض،2002م.

27. برغوث الطيب، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري لمالك بن نبي ، 2004.

28. بوراس يوسف، الفكر السياسي عند مالك بن نبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2013.

29. جيلالي بدر، البناء الحضاري عند ماك بن نبي، دار المعرفة، 1 ط، الجزائر، 2010

30. الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج02 (ا.ط، دار الفكر،لا.م)، 9311 هـ-1979م.

31. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط7، بيروت لبنان، 1984م،

32. د. بدران بن الحسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري سلسلة كتاب الأمة، العدد 73، ط1، 2000.

33. د. بدران بن الحسن، مفهوم الحضارة مجلة نوافذ: اتجاهات فكرية، 2003، ص25.

34. رضوان جودة، سؤال التجديد في الخطاب الاسلامي المعاصر، دار المدار الاسلامي، ط1، بن غازي، ليبيا، 2005 .

35. زكي نجيب محمود قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ج 2، مصر، 1967.

36. زيدان عبد الكريم أصول الدعوة، دار الوفاء للطباعة ط 3،مصر،1987

37. شريف محمد ، رهانات النهضة في الفكر العربي، 1 ط، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر.

38. طه جابر العلواني، مالك بن نبي وحركة التجديد الحضاري الشروق الثقافي العدد.

39. الطويل (توفيق)، فلسفة أرسطو للأخلاق : نشأتها و تطورها ، ط 4 ، د،ب،ن : دار النهضة، 1979.

40. عبد القادر بوعرفة ، الحضارة ومكر التاريخ تأملات في فكر مالك بن نبي ، دار رياض العلوم ،ط1، الجزائر.

41. عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 2006.

42. ماهر عبد القادر محمد، حربي عباس، دراسات في فلستة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، ط1 الإسكندرية، مصر، 2000.

43. محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 2006.

44. محمد بن اسماعيل عبد الله البخاري، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، ج3،ط3، دار بن كثير اليمامة، بيروت، 1407ه/1987م، باب صفة النبي صلى الله عله وسلم، رقم الحديث:3366.

45. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، دار السلام، جمهورية مصر العربية، ط19، 2007.

46. محمد عبد السلام الجفائري مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، د.ط.

47. المدرس عزيز، الرؤية الآن ، دراسة تحليلية لعملية التغيير الحضاري وللواقع السياسي المعاصر، دار افكر الثقافي ، الأردن، 2005 .

48. مسعودان نور الدين، مالك بن نبي (حياة وآثار شهادات ومواقف)، دار النون للنشروالتوزيع، بدون تاريخ، ط1.

49. مسقاوي عمر كامل، المصطلحات الرئيسية، في فكر مالك بن نبي، مجلة مطارحات، العدد20، 2003.

50. مقداد يلجن محمد علي، علم الأخلاق الاسلامي، دار عالم الكتب،ط2، الرياض.

51. يوسف محمد حسين، موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2010.

52.

4. المعاجم والقواميس.

53. مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن،ج 1، ط2، جمهورية مصر العربية،1409هـ-1988م.

54. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تراث في مؤسسة الرسالة دار النشر مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م.

55. ابن منظور، ج. ا. لسان العرب، بيروت: دار الفكر. ط1.

56. الزبيدي أبي الفيض ، م. م. ا. تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت: دار الفكر، ط1.

5.الرسائل الجامعية:

57. بغداد باي نعيمة، مفهوم السياسة والأخلاقيات السياسية عند المفكر مالك بن نبي، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة الجزائر، 2005.

58. زيرق دحمان، التربية في الفكر الإسلامي المعاصر محمد الغزالي نموذجا، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر،2016 ، بسكرة.

59. العابد الميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، 2014، جامعة محمد خيضر، بسكرة .

60. محمد بغداد باي، تربية إنسان ما بعد الحضارة "قراءة تربوية نوعية لفكر مالك بن نبي" رسالة لنيل شهادة الدكتوراه،، قسم علم النفس والأرطوفونيا . 2016، جامعة وهران .2

6.المواقع الالكترونية:

61. عبد المنعم الطائى، دور الأخلاق في نهوض وإنهيار الحضارات، منتديات مريس

62. هائل سعيد الصرمي، الأخلاق والحضارة، رابطة أدباء الشام sham.net http://www.odaba

63. عُرابي عبد الحيّ عُرابي – ماجستير في العقيدة الإسلامية – مدرس في جامعة تركيا – أَدِرنه https://sy-sic.com/?p=7957#/

64. درة اليمن www.mureis.com

7.المجلات:

65. مجلة المسليون دمشق المجلد السادس العدد العاشر جمادي الأول شعبان1379هـ،

66. محمد الفرحان ، نداء خليل، حضور الفلسفة الغربية في الفكر العربي المعاصر (مالك بن نبي نموذجا)، مجلة اوراق فلسقية جديدة ، العدد الثالث،2011.

فهرس

الموضوعات

فهرس المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	/
الاهداء	/
مقدمة	أ
التساؤلات الفرعية	ب
منهج الدراسة	ب
أهداف الدراسة	ب
اسباب اختيار الموضوع	ج
حدود الدراسة	هـ
الدراسات السابقة	هـ
الفصل الاول: الخلفية الفكرية لفكر مالك بن نبي ودورها في تشكيل فكره الأخلاقي	
المبحث الأول: مالك بن نبي حياته وأعماله	14
أولا: مولده	14
ثانياً : نشأته	14
ثالثا: وفاته	16
رابعا: طلبة العلم وثقافته	17
خامسا: مؤلفاته	20
سادسا: تكوينه الفكري وثقافته الإسلامية	25
سابعا: مؤهلاته العلمية	27
ثامنا: الجانب الاجتماعي	27
المبحث الثاني: ضبط المفاهيم	29
أولا: مفهوم الأخلاق	29
ثانيا: مفهوم الأخلاق عند مالك بن نبي	31
ثالثا: مفهوم الحضارة	32
رابعا: مفهوم الحضارة عند مالك ابن نبي	34
خامسا: انقداح الحضارة وأثر الفكرة الدينيّة فيها	36

سادسا: عناصر الحضارة عند ابن نبي	37
الفصل الثاني: الأخلاق والحضارة	
المبحث الاول: علاقة الأخلاق بالحضارة	**44**
1 -الأخلاق والفكرة الدينية	**44**
2- الحضارة	**45**
3-أهمية الأخلاق في النهوض الحضاري	46
4- دور الأخلاق في النهوض الحضاري	46
5-أهمية ودور الأخلاق في الحضارة عند بن نبي	47
المبحث الثاني: الأخلاق وعلاقتها بعناصر الحضارة	49
أولا: علاقة الاخلاق بالسياسة	49
ثانيا: الأخلاق وعلاقتها بالثقافة	**53**
ثالثا: الأخلاق وعلاقتها بالإقتصاد	**55**
رابعا: التربية وعلاقتها بالاخلاق	55
الفصل الثالث: نقد وتقييم الاطار الحضاري للفكر الأخلاقي عند مالك بن نبي	
المبحث الاول: نقد مالك بن نبي للبعد المادي في الحضارة الغربية الماركسية نموذجا.	**64**
أ- فكرة الجدل الماركسي المادي	**64**
ب- الاخلاق وأهميتها عند الحاجة	**66**
المبحث الثاني: نقد وتقييم	**67**
المبحث الثالث: أقوال وآراء في مالك بن نبي	72
أ- آراء وأقوال حول مالك بن نبي	**72**
ب- أهم الانتقادات التي تعرض لها مالك بن نبي	**77**
خاتمة	**83**
قائمة المراجع والمصادر	**86**
فهرس الموضوعات	/

ملخص:

في ختام هذه الدراس حاولنا ، ابراز مشكلتي الاخلاق والحضارة عند فكر مالك بن نبي من الإشكاليات السياسية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، وتحديد مسارها انطلاقا من مبررات حضارية واضحة، بروح نقدية واقعية بعيدا ، ولهذا كانت رؤيته للتوجيه الأخلاقي للحضارة منسجما مع هذا التوجه، لا سيما وأنه درس الغرب في أسسه الحضارية واستوعب عناصره وأكد على دور الغرب الفعال وإسهامه في العلم، كما أنه حذر من تهميش الدين والأخلاق، وأسهب في إبراز الشروط التي تمكن المسلمين من العودة إلى أزهى عصورهم، كما أنه كشف عن مساوئ الصراع الفكري الذي يؤدي إلى تجميد الفكر النقدي بعيد عن الاخلاق، فبرر قيام الحضارة يبقى مرتبطا بعلاقة الدين والاخلاق اللذان يعدان العمود الفقري لقيامها.

الكلمات المفتاحية: مالك بن نبي ، الاخلاق ، الحضارة، الفكر.

Abstract:

At the conclusion of this study, we tried to highlight the problems of morality and civilization in the thought of Malik bin Nabi from the political and ethical problems, and his knowledge and visible far away elements of control in his civilizational foundations and absorbed its elements in the effective title, and his contribution to science, as he is able to marginalize religion and morals, and elaborated on highlighting They managed to bring goodwill to their brightest ages

It also revealed the disadvantages of the intellectual conflict that leads to the freezing of critical thought far from morality. The justification for the establishment of civilization remains linked to the relationship .of religion and morals, which are the backbone of its establishment

Keywords: Malik bin Nabi, ethics, civilization, thought.